

ليلى العثمان

الحب له قورا



دار الشروق

ج. الروي



النبأ له صور

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

القاهرة: شارع جنّاد خنيق - هاتف ٧٧١٨١٤ - ٧٧١٥٧٨ - مرقيا: شروق  
٩٣٥٩١ SHROK UH

توزيع: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - مرقيا: دار الشروق  
SHOROK 20175 LE

SHOROUK INTERNATIONAL 316/318 REGENT ST , LONDON W1, UK TEL 8372743/4

يُنَى الْعُتَمَان

الْحُبُّ لَهُ صَوْرٌ

دار الشروق



## نظرة لها أصابع

هزّه في صمت الليل شيء فانتفض كملدوغ .. استقام في فراشه ، جالت  
عيناه في الظلام المطبق على المكان فلم ير شيئاً .. تحسس جسده فلم يجد ما يشير  
إلى اعتدائه ما .. من حشرة ! أو حيوان كتلك القطط التي تقفز على نافذته كل  
مساء .

عاد وأرخى جسده الناعس على الفراش ، وتحنن استقر رأسه على الوسادة  
تطلع إلى الأرض حوله .. حلق مستعيناً بكل طاقة عينيه ليصدق ما يرى .. في  
البداية حسب النعاس يتلاعب بنظره فيصور له المشهد ، لكن الأمر صار  
واضحاً حين امتدت يده إلى الستارة المنسدلة على النافذة التي يقبع سريره  
تحتها ، سحب طرفها فتسللت أنامل رفيعة من الضوء ، ووضحت أمامه  
الرؤية ..

هاهو «نعاله» القديم ، يتحرك .. يتحرك ثم يرتفع .. يرتفع .. يقترب منه ..  
يقترب .. وقبل أن يغمض عينيه ، كان « النعال » يهوى على وجهه بكل عنف .  
و .. غاب عن الوعي ..

في الصباح ، لم يكن يتذكر شيئاً ، وكأن حلماً عادياً قد مرّ به كباقي  
الأحلام ، لكنه حين نظر إلى المرأة ليحلق ذقنه ، لمح بقعة زرقاء على صدغه  
فتذكر ما حدث في الليل ، فقرر بينه وبين نفسه أن يترك « نعاله » كل ليلة داخل  
الحمام .

مشى حافياً .. لسعت قدميه برودة البلاط ، لكنه احتملها ، فهي أرحم  
كثير مما قد يحدث لو أنه سحب « النعال » في قدمه .  
اندرس في فراشه متثاقباً .. مرتاحاً .. وكوم الغطاء الصوفى على جسده وتذكر  
شيئاً .. فسحب اللحاف حتى ستر به كل وجهه العريض - وكان يكره هذه  
الطريقة - ثم استسلم للنوم .  
فجأة !

صحا على صوت باب يصطفق .. تذكر أنه لم يوصد باب الحمام .. لعن  
غباؤه .. وما ان تهباً للنهوض .. حتى رآه في العتمة آتياً كوجه بومة .. مسرعاً  
نحوه ...  
هو ...  
نعاله ! يطير إليه .

هرب إلى الفراش ثانية .. سحب اللحاف .. قبل أن يتمكن من إخفاء  
وجهه . كان « النعال » قد صفعه بحدة . و .. ارتجف حتى الإغماء .  
لا وسيلة إلا الهرب !

قرر .. ألا ينام في بيته ، ذهب إلى صديق يكره فيه برودة أعصابه ... ففكر  
أن يحكى له الحكاية ، لكنه كان متأكداً من أن هذا الصديق البارد سينفجر  
كالبارود بضحك متواصل ويؤكد له بأنه مجنون !  
كتم أمره داخل صدره ، واختلق حجة لصديقه :  
- أضعت مفتاح البيت .. قلت لمن ألبأ في هذا الليل الموحش .. فلم أجد  
إلا بابك ..

رحب به الصديق ببروده المعتاد :  
- البيت بيتك .



وانشقت قناة راحة .. الليلة سينام نوماً وردياً .... بعد ليلتين متواصلتين  
 يخ « نعاله » فيها وجهه ، وعبأ نفسه قلقاً لأُيَحْتَمَل .  
 في غرفة صديقه سرير خشبي ضيق لا يكاد يحمل جسمه .. لكنه أحسَّ به  
 حلاً معشياً تتأوج نسيامته حوله ، فتحرك أطياف أحلام وردية .

الليلة .. لا قلق ! ولا أرق ! ولا .... « نعال » ... استسلم لنوم عذب  
 حرى البداية شخيراً جعل الصديق يقطع رحلة نومه ليغلق عليه الغرفة وحين  
 سر خطوتين .. لاحظ « نعال » الرجل مقدوفاً في الصالة .. فالتحنى وحمله إلى  
 حيث ينام الرجل ، ثم أغلق الباب بالهدوء نفسه الذي فتحه به والذي لا تكاد  
 سمعه حتى حشرات الليل .

تقلب على السرير الضيق وقبل أن يستدير إلى الناحية الأخرى لمح شيئاً  
 يحرك في الظلام ، ولأنه كان متأكداً من أن « نعاله » خارج الغرفة ، فقد فتح  
 عينيه على اتساعها ليتأكد من هذا الشيء المتحرك .. لكنه ما كاد يستقر بنظرته  
 حتى صفعه « النعال » صفعه جامدة ، فلم يقاوم صرخة الرعب التي صدرت  
 فشقت سكون الليل في أذن الصديق الذي جاء مهرولاً ... مستفسراً

في الصباح .. قرر أن يقصد طبيباً .. ولولا ثقته بأن هذا الطبيب لن يوبخ  
 بأمره .. لما فكر بأن يدق بابه ، فهو يكره الأطباء ، يكره التعامل مع من  
 يؤكدون حرصهم على سر مهنتهم ، لكنهم ينسون القسم الذي أدّوه ، فما أن  
 يجتمعوا في بيت أحد أصدقائهم ، أو في إحدى اللديوانيات ، أو الزيارات  
 الخاصة .. حتى يبدأوا بالتندر بحكايات المرضى ، وأحوالهم النفسية ،  
 ويققههون كأنهم يردد حكايات الناس ومعالجتها قد أحرزوا انتصاراً يقرب لهم  
 من يسمعهم ، لذلك كره الوقوف على أبواب عياداتهم للعلاج أو الاستشارة  
 لكن الأمر يختلف اليوم ، فالوضع ليس وضعاً صحياً فيسكت عليه ، هنا

حقيقة تترصده كل ليلة .. تقصّر راحته ، تنفّر من فراشه الذى لا يأوى إليه إلا آخر الليل منهكاً ، فلا يأتيه النعاس بسهولة ... فهو يبقّى ساعات طويلة يستعرض نهاره الطويل ، يستعيد كل أحداثه ، كل لحظاته ، كل الوجوه الأصدقاء ، الغرباء ، حتى أولئك الذين يملكون أن يقولوا له افعل .. ولا تفعل . أولئك الذين عرضت مؤخراتهم من طول استقرارها على المقاعد الوثيرة فى وظائف لا يحملون مايؤهلهم لسد فراغاتها إلا ما حصلوا عليه من أوراق التوصية والوساطة أو شهادات لم يحصلوا عليها بعرق الجبين بل بالعرق المبللة به الهدايا أو الأوراق النقدية المترصدة .

إلا هو ... المسكين .. المظلوم .. لماذا لا تكون له وظيفة كبيرة .. ومكتب فخم .. وسكرتارية ! وموظفون يأمرهم .. فيأتمرون .. وقرّاشون يصرخ فى وجوههم فيرتعدون ، ومراجعون يأتون .. ويذهبون .. ثم يأتون .. ويذهبون .. وهو يتسلّى بلهفتهم على إنجاز معاملاتهم ، فيؤخرها يوماً بعد يوم .. حتى يلمح ذل التسول فى عيون أصحابها .. عندها يتعطف ويتكرم عليهم بإنجازها  
هه !

حلم .. حلم أن يحققوا له ما يستحقه من مكانة ، فكل مسئول يحذفه إلى مسئول آخر وكل وظيفة تلفظه إلى وظيفة إما أدنى منها أو أعلى لكنه سرعان ما يتدحرج إلى .. لا شيء !

كره الناس ، كره العمل ، كره كل الوجوه السعيدة ، كره النساء . حتى تصوّر أن كل امرأة جميلة مجرد بومة ، وكل امرأة ناجحة هي منافس خطير لقدراته ، وإبداعاته التى يظنها كامنة فى عقله .. ولم يكتشفها أحد بعد ! كره ظهور الناس التى تسير أمامه فلا تراه .. حتى أنه تمثّى لو تصير عيون الناس فى ظهورهم ! أو كعيون الذباب المتحركة لتلمحه فتفسح له الطريق حتى وإن لم

تكن طريقاً ضيقة . كل هذا وغيره يعانیه في نهاره ! وفي الليل .. يأتي هذا « النعال » اللعين ليفسد عليه متعة النوم .. مما جعله يتنازل .. ويذهب إلى الطبيب الذي أصبحت استشارته ضرورية .. بل .. ومُلحّة .

كان الطبيب ينظر إليه باشفاق واضح - يبدو أنه مريض فعلاً ، رغم أنه لم يعلن للطبيب عن حالة مرضية - تابع سماع قصته . كان يحسه حزيناً وهو يتحدث والعياء اللاهث بادٍ في صوته .. متألماً وهو يصور إحساسه بهذا الدل الذي يلقاه كل ليلة تحت جلدة « نعاله » . ويبدو يائساً .. من حلٍ سريع ينقذه .

تابعه الطبيب بارتياح جعله يسترسل في وصف حالته ، وقبل أن يوجه له سؤالاً كان يكمل ، وكأنه قرأ أفكار الطبيب :

- لقد فعلت كل شيء من أجل أن أُنَجِّبَ هذا الغزو الليل .. آخر مرة - التي قررت أن أتيك إثرها طالباً العون - كنت قد وضعت « نعالى » في خزانة حديدية وأغلقت عليه بالمفتاح .

- هه .. وأظنك نمت مرتاحاً تلك الليلة !

- أبداً ... أبداً يا دكتور .. ونفخ - ما إن غزا النعاس أجفاني .. حتى فاجأتني كلها بهجوم كاسح وتناوبت في ضربي حتى تجرّح وجهي . أنظر وحرك وجهه العريض يمنة ويسرة أمام وجه الطبيب الذي رفع حاجبيه مستغرياً :

- غريب ! كل الأحذية ؟ كيف ؟

- لا أدري ! في الصباح فوجئت بيباب الدولاب مكسوراً .. وكانت الأحذية بداخله متراكمة وكأنها لم تغادر مكانها ، ولم تفعل شيئاً بوجهي . سأله الطبيب ، وقد بدا الاهتمام واضحاً في سؤاله :

- هل تقسو على أحذيتك في النهار حتى تتكاتف عليك بالليل ؟  
قال بصوت لا يخلو من انفعال :  
- أبداً يا دكتور .. أنا لا أقسو عليها .. أنا فقط أستخدمها لضرب ظهور  
الناس .

ارتفع حاجبا الطبيب ، لاح استغراب :  
- تضرب ظهور الناس ؟  
هز رأسه :

- نعم .. نعم ..  
- ولكن ! لماذا؟؟

- لا أدري يا دكتور .. هذا شعور يفاجئني كلما رأيت إنساناً يسير ويسبقني  
بخطواته .. فأنفعل .. وأثور .. حتى الذرات الصغيرة في نفسى تنور ثورة  
العاصفة .. أحس بمن يسير أمامى وكأنه يتحدانى سعيداً وهو يخلفنى وراءه  
أحمل كرشى الثقيل وأسير بطيئاً .. فلا أعى نفسى إلا ويدى تحمل « النعال » أو  
الحذاء وتهوى بها على ظهر الذى أمامى ..  
سأل الطبيب وهو لا يكاد يصدق :

- والناس؟؟ الناس ما ردة الفعل لديهم؟؟  
مط عنقه الشخين كعنق جاموسة ، أوسع من عقدة « الكرافته » ذات  
الألوان الصارخة .

- الناس يا دكتور تتفاوت ردود فعلهم . بعضهم يلتفت وقد صعقته  
الفعلة .. ولا يمرؤ حتى على فتح فمه وكأنه أمام مجنون يخشى أن يدخل معه في  
معركة غير متكافئة ، وبعضهم يطرئ بوابل من السباب والشتائم اللاذعة التى  
تجعلنى أقف أمامها صامتاً لا أدري كيف أبرر له فعلتى .. ونفر آخر ينهار على

بالضرب ، ويصق في وجهى .

- وأنت .. هل ترضى بالإهانة ؟

سأله الطبيب وهو متلهف لمعرفة الإجابة !

- لا أهتم يا دكتور .. بالعكس ، أنا أسعد حين أثير اشتزاز الناس  
وغضبهم . مالا يرضينى فقط هو الرد الذى يجلدنى ، أحس سياطه تلهب بدنى  
فتمزقه . وأقف حياله مقهوراً آكل نفسى .. وتأكلنى نفسى .

والهفته تسأل الطبيب :

- ترى ! أى الردود يفعل بك هذا ؟؟

- لفقة ! - وصرّ على أسنانه بغیظ - لفقة ! تصور فقط يلتفتون .. ونظرة  
احتقار كبير تطل من أعينهم .. ثم يستديرون عنى وكأننى لست إلا مجرد صرصار  
أو جرد أو حتى بقعة تعرضوا لقرصة مفاجئة منها .. إهانة إهانة .. تدلّق إلى  
روحي فأكرعها مرة .

- وأنت ! بماذا تفسّر هذا الفعل منهم ؟

خبط على طاولة الطبيب فتطايرت بضع أوراق وأهتز كوب الماء الموضوع  
على طرف الطاولة فأمسك به .. بلل ريقه بقطرة منه وصرخ :

- هذا ما سيفقدنى عقلى .. لماذا لا يفعلون شيئاً ! ألا يؤلهم الضرب ؟ .

وأكد كمن تذكر شيئاً - إننى أضرب بقسوة - ها .. ها ...

ضحك الطبيب حتى تجمّع لعاب أبيض حول شفتيه ، بينما الرجل فاغراه  
لا يشعر بشئ ولا بالذبابة التى حامت حول فمه وكادت تدلف إليه لولا أن  
امتدت يد الطبيب بمطرقة النايلون وهوت بها على مكان الذبابة عند قروف شفة  
الرجل .. لكن الذبابة كانت أسرع من الضربة التى هوت على وجه الرجل ، فلم  
يتحرك وكأنه لم يحس بالضربة .

- هل آلمتك الضربة ؟  
سأله الطبيب .  
- لا ..  
- عجيب ! ألم تشعر بها ؟؟  
- لا ..  
تنهّد الطبيب . قال بصوت خفيض كأنه يحدث نفسه :  
- كثير من الضرب لا يؤلم .. ولا يؤثر ولكن !  
قاطعته المريض :  
- ولكن .. تلك النظرات التي تفوح احتقاراً  
هز الطبيب رأسه مؤكداً :  
- أجل . هي التي تؤلمك . رب نظرة أبلغ من كلام . أبلغ من ا  
أجهش المريض كأنه ما عرف البكاء أبداً .. ارتج شحم ج  
تراقصت زوائد خاصرته ، وثديه اللذين يشبهان ثدي مرضع دء  
تلك اللحظة .. دخل الفراش غرفة الطبيب .. وقدم له لفافة  
جريدة .. حين فتحها الطبيب أمام عين المريض كان الفراش يش  
- أحد المرضى الذين غادروا المستشفى ترك نعاله هذا على ال  
ابتسم الطبيب . ركّز نظره على وجه المريض السمين وتمتم  
- لعله مريض أراد التخلص من مرضه

## بعض الأشياء لا تتغير

الصيف قاس .. الوجوه متعبة ، بعضها عليه آثار الأرق .. وبعضها  
النكد .. وعلى بعضها الآخر يبدو تعب الحياة وقرف منها ...  
الطابور يمتد طويلاً يتعرج حسب المكان .. يعلو ويهبط .. حسب  
الأطوال ، ورائحة « البمبر » تفوح من شجرة قريبة .. ثمرة ذهبية تنزوع بين  
الأوراق المتهدلة الكسول ...

وهناك ... هي تستلقي ..

يتزرع في صدرها الورم .. ويأتي قرار الأطباء :

– لقد تفشى المرض الخبيث .. ولا بد أن يبتز الثديان .

وحالة الفرع امتدت من صدر زوجها إلى جرس الهاتف الذي زعق صوته  
مستغيثاً :

– أرجوك ... أريد بطاقة زيارة مستعجلة ! عيلة تموت .. أكل صدره

الداء اللعين .. شهور وأنا أحاول ... ومحاولاتي تُرفض ... عيلة وحيدة  
أمها ... و....

أجهش !

لم تكن أول مرة أسمع فيها رجلاً يجهش بالبكاء ، لكن هذا الجهشان  
مذّب .. يخترق الصدر سهماً ويجعل الكلمات تموت في الحلق ؟  
ماذا أقول له ؟؟

كيف أواسيه؟؟

وما الذى أستطيع أن أفعل من أجله إلا أن أسارع غداً إلى إدارة  
الجوازات .. لأعمل بطاقة زيارة لحماته التى صارت فى هذه اللحظة حاجة  
ملحة .. تقف مع ابنتها فى محنة العذاب ! ونمضى الليل مع الصغار .  
لم يكن المستول الذى أعرفه فى مكتبه .. لقد خرج لأمر هام !

- والمستول الثانى ؟

- سافر !

يأتى الجواب ذابحاً صبرى ..

ما العمل؟؟

يهز الفراش يده أن لا حول ولا قوة وهو يقول :  
- ستضطرين للوقوف فى هذا الطابور !

والتفت !

طابور هذا أم ثعبان عرّقى يمزقه الانتظار واللهفة والرهبة أن يرفض الطلب  
وتلقى الأوراق فى وجه صاحبها الطالب؟؟

- طابور؟؟

شهقت !!

ما اعتدت أن أقف فى طوابير ! ذاك الدلال الذى تعودته كل مرة .. غير  
متوفر اليوم ... المستولون من الأصدقاء لا يعلمون أننى اليوم سأتحدر إلى طبقة  
الكادحين .. وأقف فى الطابور ..

فرض .. لابد منه .. من أجل بكاء الرجل المسكين الذى سرى الداء فى  
صدر رفيقة عمره ... لابد من الوقوف ، هى على أية حال تجربة أحسنّ بها  
معاناة هؤلاء المساكين الذين يقفون كل يوم فى طوابير ... الذين لا يعرفون



مستولين مثلى .. ولا يتدللون كل يوم مثلى !  
سرت نحو الطابور ... اتخذت مكانى فى ذيله ! حين استقرت قدماى التفت  
نحو غرفة المسئول الموصد بابها ...

هه !!

أنا اليوم .. سأعتمد على نفسى !! ما حاجتى لخدمة مسئول .. أو صديق !  
إن الوقوف ومشاركة الناس غير المدللين متعة ! والتزول أحيانا من أبراجنا العالية  
يجعلنا نرى عن كثب خرائط الوجوه المتعبة فنشعر بمعاناتها التى لا نعرفها !  
تسرية عن النفس التى ربض القهر داخلها !!

يبطء يتحرك الصف !

أنهار العرق تنهمر من جسدى ! أحسها تنزلق بين ساقى المتعبتين ولعلها  
كذلك مع الآخرين !

عدوى تعب الوجوه التى سبقتنى ، ونكدها .. وقرفها .. تنتقل إلى وجهى  
مضاعفة ! فأنا ما تعودت هذا الهوان اليومى !! أنا المدللة التى تسير أمورها دائما  
على مايرام !!

الشباك يغلق !

الموظف يعتذر !

أنظر إلى الساعة التى التصقت بلحم يدى ..

الواحدة والربع !!

انتهى الدوام .

الغد يوم آخر ...

رحلة ثانية ، طريق المطار الخفيف .. قد تأتى سيارة طائشة ! سائقها إما  
شاب مدلل لا يحمل رخصة قيادة ، أو رجل طفق كيل الشراب إلى دماغه

فأفقدته السيطرة على نفسه .. هو طريق الموت اليومى ...

وهى !!

هناك على سرير فى المستشفى ... ترقد ، تتألم ، بانتظار العملية التى لن تتم  
حتى تنتهى بطاقة الزيارة ، وعندها ... يُبرقُ للأم أن تأتى ! ويتنظر الزوج فى  
المطار .. حاملاً الورقة الصفراء ... جواز الدخول ... لا بد أن أسرع .. قبل أن  
يخرج المسئول ! فيُخرج الطاهور لى لسانه ثانية ! ويمتص نهارى ! ويلفظى  
كغبرى من المساكين إلى يوم آخر !

فجأة تذكرت !

اليوم موعد هام ... ضيوف بانتظارى فى الاستديو . يوم آخر يضعى !  
وبطاقة الزيارة ستأخر .. و ... غيرت سبرى .

\* \* \*

غدً ثالث ..

وبطاقة الزيارة فى يدى جناح حمامة ، سيعمل الأم سيفرح قلب عبلة حين  
ترى وجه أمها الحانى قرب سرير المرض ! والموت المرتقب .. وسترتاح فى إقامتها  
وصدر أمها مرقد وثير لأطفالها .  
البطاقة فى يدى .... فرحة بها .. فرحة بالدلال الذى سبقها ... وعتب  
المسئول :

- كيف تقفين فى الطاهور؟؟

- بطاقة مستعجلة ! قلت لعل الطاهور ينها .

- كان يجب أن ترجعى ، ولا تقفى !

- رجعت بعد أن أغلق شباك الموظف الأمل فى وجهى . هأناذى أعود ...

\* \* \*

فنجان قهوة ... كرسى وثير... وجه مستول لطيف ! أليف ! متعاون !  
وقلمه الزاهي يخط توقيعہ الأنيق ... ، وترفع الورقة بيد الفراش إلى حيث  
الأختام ، وبعدها إلى الخطاط ... ومن ثم تعود إلى عروساً متأهة .. يدمغها  
المستول بتوقيع جديد كعريس يدمغ عروسه إلى الأبد .

البطاقة فى يدى !

جواز مرور متلهف بانتظار صاحبتہ .. والفرحة ... وراحة الضمير .  
عبلة سترى أمها القادمة ! فقد سهل الله الأمور وإن كانت البطاقة قد  
تأخرت يومين ! فلا يهم ... « كل تأخيرة ... فيها خيرة » .

\* \* \*

وجعٌ شق صدرى !!

وضعت البطاقة قرب جهاز الهاتف .. سأتصل بزواج عبلة .. سأبشره أن  
البطاقة معى ! وليبرق لحاته ...  
وجعٌ شلٌ يدى !!!

هناك ورقة موضوعة فوق الجهاز كتبها زوجى قبل أن يغادر فى الصباح ..  
تحسست الورقة بيدى ، أحسست صدر عبلة يشكرنى قبل أن يفارق هذا  
العالم .

## الحب له صور

بينك وبينه أكاد أضيع .. أنغمس في أرض المآهات .. هو يملك ما يجعلني سعيدة ، مستمتعة . وأنت تملك الوعود .. الكرى .. في أن أكون بعد ذلك أكثر راحة .. وأشد اطمئناناً وألتي كل ماتشبهه نفسي . بينكما أأرجح .. والمسافة بعيدة .. بعيدة .. تبدأ من ابتسامة عينيه .. ولا تنتهى .

عيناه اللتان أرى فيها غزارة الشوق . وإغراء بالاقتراب ، والولوج إلى حلم أحمر أخرج منه أكثر نضارة وأبهج وجهاً .. وأنت ! لا أكاد أراك أو ألحك إلا في مخيلتي التي طالما احتارت كيف تصورك : رجلاً عادياً ؟ أم طيفاً ؟ أو غيمة تحمل ملايين القطرات للعطاشى والمظلومين .

إن فكرت به .. أحن للفرح .. وإن فكرت بك تلازمني غصة تتحول إلى بكاء يشبه بكاء المجرم عند اكتشاف جرمته .

إن فرحت معه خشيت على فرحي .. وإن بكيت عندك ارتحت من أنقالي . أنت وهو .. تشدانني إليكما .. وأكاد في هذا الفضاء الشاسع أن أفقد نفسي .. ويختل توازن دماغى .. فلا أحكم على ذاتي إن كانت تريد هذا .. أو ذاك .. فكيف السبيل لإرضاء أيكما ؟ وكل واحدٍ منكما يتصور أنني أخونه مع الآخر ؟

وأنا .. - أقولها بصدق - أحبكما أنتما الاثنين .. قلبي يتسع لكما أنتما الاثنين .. وإن تفاوت حجم المكان الذى يحتله أحكما .. عن الآخر .. قلبي يتسع .. وقلب كل امرأة كذلك .. فن قال إننا لسنا بقادرات على أن نحب أكثر من واحد فى مرة واحدة ؟

الحب له صور عديدة .. ولكل حب كيانه الخاص ، وخصوصياته وأشياؤه الطفلة التى تنمو فى داخلنا فتثير ألحانها الخاصة .. وعواصفها الخاصة وتأخذ قتها كاملاً .

أنتما الاثنين أحبكما .. ولا شك فى أنكما أيضاً تحباننى .. وإلا لما حاول حدكما أن يشدنى من الآخر .. أو ثارت غيرته من الآخر .. أو حتى لعن الآخر . سره .

لكننى أعتز أنه يجذبني إليه .. أكثر منك ، وأنه يحرضنى ضدك .. حين سألنى عنك ؟ ومن تكون ! فإن غموضك الذى يحيط بك يجبرنى فأميل إلى صديقه بأنك مخادع . أو لا شىء البتة .. وأنت مشغول عن هذا التذبذب الذى أعانيه .

أعترف .. أننى أنساق إليه ، وأنساك .. لكننى حين أتفرغ لوحديك أذكرك .. أفتح رسائلك العديدة المليئة بالحكم .. فأرتعش .. ويصيبني الدوار .. وأعود إليك .. تماماً مثل هذه المرة .. وهأنذى آتيك طالبة عفوك عن هذا الهجر الطويل .. لكننى لا أراك تفتح ذراعيك .. وتستقبلنى بشوق ومحبة إنك تصرخ بى :

- أنت تأتين بجذاعك .. لست نقية بعد !

- أعذك بأننى سأكون .

لكننى أحس بيدك الرهيبة تمتد إلى وجهى :

- إياك : إياك أن تعدى بشيء .

وتصمت ..

وأصمت ..

تمتد غابة السكون بيننا ثم يفاجئني صوتك الراعد

- هل أحدثك بماذا تفكرين الآن وأنت معي ؟

أتحسّس صدري .. إذن .. أنت تعرف ما بداخله ، تقرأ عباراته المنظومة  
فكيف تقدر أن تحصر كل الأشياء ؟

أجيبك :

- بك .. أفكر بك أنت .. أنت وحدك .

تقذف الصرخة في وجهي :

- كاذبة ؟

أتوسل :

- أرجوك صدقني .. فقد صرت مشكلتي .. أنت أناني .. تريدني لك

وحدك .. أفكر بك وحدك وهأنذا أفعل !

لكنك تؤكد بما يشبه الحزم :

..

- بل هو .. تفكرين به هو حتى وأنت معي .. أنت الآن تشتهين لو كانت

عينك ساجحتين في عينيه .. في غرفة وحدكما .. تشرنان نخب الحب المثلج حتى

آخره .. يذيلك انتعاش العشق حتى تصبichi أرنبه بحاجة إلى الدفء ..

فيحملك إلى السرير طرية كثمرة استوت على غصنها فتهاوت ، تعيشين معه

اللحظة بكل جنونها وتنسين أني هنا .

- ولكن ! أليس من حق أن أعيش لحظة حب معه ؟

- وأنا ؟ متى تعطيني لحظة الحب الذي تعطينه له ؟ ومتى تفين بوعده ..

- إننى هنا .. جئتك الآن .. وأنت ترفضنى ! تهزأ بى .  
- جئت لأنك تحسن بالوحدة .  
- أنت عودتنى أن ألجأ إليك لحظة ضعفى .  
- إذن جئت لتحتفى بصدرى لفترة .. وحين يعود سرعان ما يتحول  
صدرى تحت رأسك إلى وسائل شوك .. تهجرنيها إليه .. تعودين إليه .. قوية  
وتنسين أننى كنت مصدر القوة .  
- أبداً .. أبداً .. إن لك وقتك مثلاً له وقته  
- مخادعة ..  
- أنت تسد الباب فى وجهى .  
- لم أتعود أن أسد الباب .. بابى يتسع ، لكننى أريد وجهك صافياً نقياً ..  
صادقاً .. فأنا أكره الوجوه المزيفة  
- أعدك ..  
- أعد ..  
لكنك ترفض الوعد .. تماماً ككل مرة وتقول :  
- لا تعدى بشيء .. اذهبي .. ولكن تذكرى أننى لن أفتح ذراعى إلا إذا  
عدت مغسولة من حبه ..  
أعود بنجيتى .. أفتح الباب بكسل .. تلفحنى رائحة البيت فأنتعش وأسحب  
نفساً أضم فيه رائحة كل الانحاء .. فأدخلها إلى صدرى سبعة  
أسمعه ....  
رنين الهاتف موسيقى عذبة ..  
هو .. لا بد أنه هو .. لقد عاد أخيراً .  
أسرع .. تأكل قدمائى درجات السلم .. يتراكم فرح إلى أعضائى .. فرح

الأرض يتدفق عليها سيل المطر بعد جوع .. وعطش .. وقبل أن يكتمل سيل  
الحياة في عروقي .. أتذكر وعدى .

لا .. لن أرفع السماعه .. ولن أحدثه .. ولن أقابله . النداءات في داخلي  
تتلاحق .. كرنين الهاتف .. شيء يشدني .. وآخر يبعدني .. لقد وعدت الآخر  
ولابد أن أفي بوعدى .. سأكون قوية وأتحدى الهاتف

ولكن : هل أستطيع؟؟  
الحياة حميلة معه .. وصوتها صداد مفر ..  
والإقبال عليها حق من حقوق .. فلست إلا كائنات حياً .. تهفو نفسه لمتطلبات  
السعادة ..

وأنا .. ألقاها معه .. في عينيه .. بين يديه .. على صدره .. لكن الآخر  
أريده أيضاً .. أحتاج إليه .. فعنده أفرج الكرب عن النفس ويتسع صدرى  
بعد ضيق .. فهل أنسى لحظات الراحة معه؟؟

الرنين يتلاحق :- بكاء طفل فزع نسيته أمه في الظلام .. لكننى لن أرفع  
السماعة !

لا بد أن أشغل نفسى .. أمسك بكتاب . أقلب صفحاته . لكننى سرعان ما  
أقذفه إلى الطاولة القريبة فيلتوى غلافه . أشعل سيجارة .. وثانية .. وأتابع  
انطلاق الدخان من رأس السيجارة راقصاً إلى أعلى .. وراقصة يتمدد جسدها  
ويتلوى أمامى على الشاشة الفضية .. أتأملها بقرب ، ثمة تعاريج في صدرها  
تنبئ عن الأكف التى امتدت وعبثت بالثمرة . وحين رفعت ذراعها إلى  
أعلى ، خطر ببالي أن أمسك سيجارتى وأغرسها في إبطها فأشوه مساحتها حتى  
لا تفكر بعد اليوم أن تتعري هكذا وهى ترقص .



الرنين يعود مُلحاً .. قاسياً ، اللهفة تنقلني من منظر الراقصة القبيح . إلى  
الهاتف القابع في زاوية الغرفة .

أوشك أن أتحرك .. تدفعني رغبتى لرؤية الرجل في هذا المساء الحزين بعد  
شوق الأيام الماضية ، لكنني أتذكر لقائى بالآخر .. ووعدى له .

- لن أرفع الهاتف ، ولن أراه بعد اليوم .. وسأعود إلى الآخر مخلصه نقيه .  
أعود إلى الصمت .. للتأمل في لا شيء مما حولى .. أقوم إلى خزانتي  
المهجورة .. أنبشها .. أبحث عن قبض تقطعت أزراره .. أو ذيل فستان فكت  
خياطته .. قد أجد فأنشغل .. فأنسى نداء الهاتف !

لكنني ملابسى كلها سليمة .. آه . لو أبكى .. لو يسيل عذاب صراعاتي . لو  
أتشرق داخل لحظتى .. ويطوينى للزمن .. لو أنسى الاثنين ، أهجرهما ..  
وأبحث عن ثالث يرتضى صراعاتي .. لو أستقر على أحدهما . فلا يعذبني هذا  
الاهتزاز المتواصل ..

أرفض كسلى ..  
أقوم مرة واحدة .. أقرر أن أستحم ..  
لا ...

لن أفعل ! فسيظل شعري المبلل مشكلتى الليلة .. آه ما أكثر المشاكل جسدي  
ملئى كجسد صرصار تجمع النمل عليه ليشده إلى بيته  
يجب أن أستحم ، أن أغتسل .. أن أعود للآخر ، صافية .. نقيه .. كما  
... د

أدلف إلى الحوض أفتح صنبور الماء .. يتهاوى بارداً .. أتذكر  
- هذا السخان اللعين كان من المفروض أن أستدعى أحداً لإصلاحه لكنني

نسيت ! وما أكثر ما أنسى .. بات على أن أعلق في كل ركن من أركان البيت  
مفكرة أسجل فيها ما أريد .

لن أستطيع الاستحمام .. ولن أكون صافية هذه الليلة . لماذا تعاندى  
الأشياء كلما فكرت أن أعود إليه ؟ لا فائدة .. ليس أمامى سوى الهاتف :. أعيد  
ملابسى إلى جسدى العارى .. لم أفكر حتى بارتداء سواها ، وأركض نحو  
الهاتف المخذول المنتظر .. تدير أصابعى الأرقام الستة ... أسمع الجرس يدق ..  
قلبي يدق أيضاً ..

هل سيرد؟؟ ليت لا يرد .. ليت يصاب بالصمم كي لا يرد  
بل .. ليت يسمع ! ويرد .. وينقذنى من حيرة اللحظة . الجرس يتوقف ..  
صوته يأتى :

- أهلا حبيبى ..

أضحك ..

- أهلاً بك أيها الشيطان .. اللعين .. كلما قررت مخاصمتك تأتى

يشمت صوته

- وأنتصر : أليس كذلك ؟

وأشحن صوتى بتحد واضح

- أين غبت كل هذه المدة ؟

- فى مكان جميل .

- وبناته أيضاً جميلات !

يتحدانى :

- بالطبع .. فوق ما تتصورين .

- أيها الخائن : أخلص لك فتحونى .. سيأتى يوم وتحسرنى .. أنت لا تلتيق بي

- تستطيل ضحكته .. حتى أخالها تصل ما بيني وبينه
- أما هو .. فيليق بك .. لهذا ينفر منك كلما ذهبت إليه
- أقول باستسلام .
- معه حق : كيف يرضى بي وهو يعلم أنني أخونه معك ؟
- تسمين حي خيانة ؟
- هو يعتبرها كذلك .. خاصة أنني لا أعطيه . بقدر ما أعطيك
- يصمت .. ثم يعاود الحديث قائلاً
- اسمعي .. يخطر لي سؤال هام .. لماذا لا يقتلك إنه على حق كما تقولين .. وهو قوئ .. فلماذا لا ...
- اخرس !
- أصرخ به .. ألقى بالسماغة ، ينقطع حبل الوصل الممتد .. أشعر ببعض الراحة .. لكنها سرعان ما تبدد .. هل أستحم بالماء البارد وأذهب إلى الآخر صافية ؟ هل سيقبلني ؟؟
- هل سيريحني حين يضمني إليه إلى الأبد .. ويخلصني من هذا الصراع الطويل ؟؟
- رأسى يتهاوى بين كفى .. ولا شيء غير البكاء .. الوقت يمضي .. يكاد يأكل ليلة أتمناها بعد هذا الفراق ، لكن الدنيا تأتي .. أبدأ هي ملحاح عطوف .. إذا استدرنا عنها لحقت بنا .. أشرقت بوجهها ، ابتسمت وقالت :
- أنا هنا مشرقة دائماً حتى لا يستدير أحدكم عني
- ومعه تأتي الحياة !!
- جرس الباب .. نداء ملهوف .. وهمس مشتاق : .. يدخل .. أراه أمامي .. نخلة باسقة حاملة ثمرها ..

هل كان على أن أفرح؟؟ أم أن أخشى لحظة اللقاء ؟

صوتى ينبى من حنجرتى محتداً :

- لماذا جئت ؟

بهذوته المعتاد يرد .

- جاء بى شوقى ..

أرفع كلتا يديّ .. أهوى بها على صدره العريض :

- لعنة الله عليك .. وعلى شوقك لست أريدك بعد اليوم .. أريد أن أستحم

أن أتطهر .. وأعود للآخر .. وأهجرى إلى الأبد !

ينسم بنحبث :

- أنت بحاجة للاستحمام فعلاً .. فهذه ليلة لقاء .

- لا .. لن أستحم من أجلك أنت !

يتعد إلى المطبخ .. يعود وفى يده كأسان .. لأول مرة ألاحظ لون الثلج

أراه أكثر يابضاً من أية مرة سبقت

هل تختلف الألوان ؟ أم أن نظرتنا للأشياء هى التى تختلف باختلاف

لحظتنا ؟

يمد يده بعد أن يصب السائل .. ويسيح الثلج فى الكأس

- اشربى .. هذا يريحك .

أبعد الكأس :

. لا .. لا أريد .

يضع الكأسين : يقترب .. يحتوينى .

. أتلهذ باحتوائه .. آه .. لو أبكى الآن .. فتغسلنى سحائب دموعى .. فى

رأسى دائرة متشابكة من الأسئلة :

— لماذا نسيت السخا؟ ولماذا رفعت الهاتف وطلبتة؟؟ لماذا جاء هذا الرجل؟  
لماذا وعدت الآخر؟؟ ولماذا لا أرفضه الآن وأغتسل بالماء البارد حتى تستيقظ  
كل شعرة في جسدي فيسرى عليها الماء .. يطهرها .. فأعود إلى الآخر نقية؟؟  
ولكن ! ماذا لو أيقظ الماء البارد في الصدر أمومته؟؟  
لا !

لن أسحب نفسي ..  
تأني الكأس .

رأسي على صدره ... أتقظ .. قبل أن ترتفع الكأس إلى هي .. أرتعش  
رعدة مجنونة .. أرتفع عن المقعد .. أبتعد .. أمسك بالكأس ... أصرخ  
— لا .. لن أشرب .. بل سوف أستحم الآن فوراً .

وتنصب الكأس على رأسي .. فتسرب القطرات الثلجة بين خصلات  
شعري .. ويتهاوى الثلج على سجاد الغرفة

كانت الدهشة تسكن وجه الرجل : عيناى تتابعان قطعة الثلج .. تذوب  
وتذوب .. الأشياء كلها أمام عيني تكاد تذوب .. ليتنى أصبح ثلجة . ليتنى  
أكون قطرة ماء .. تجف .. حين تلامسها الشمس . ليتنى أصير نسياً منسياً  
في لحظتي العنيفة يأتي صوت الآخر جباراً  
— لا تستعجلي .. إنها لحظة انفعال .

— إنها لحظة الصدق !

— لن تستحى الليلة .. وستطلبين كأساً أخرى  
— ذلك لأستحم بها وأصفو .

— بل ليرتد انتعاشك وعندها ستهمسين له : « يا حبيبي .. أدفني .. لقد جمّد  
الثلج أطرافى » .

- لا .. لا .. لا ..  
أصرخ فيه دون أن أراه  
- أنت تخوضني على البقاء معه  
- سيجرك إلى السرير  
- اسكت ! أنت تغريني بالخيانة ثم تلومني  
- الطريقان أمامك  
- وأنا سأختار ..  
- وقتك ستطول .. وسيميل الرجل منك .. ويمشي  
- سأجيء إليك .  
- الدرب سيطول  
- سأقطعه  
- وقد يقطعك فتعودين  
- مد لي يدك .. ساعدني  
- لكن يده ممدودة لا تزال .. حاملة الكأس المثلجة  
أنما ....  
أنما الاثنان .. تمدان لي اليد .. تارة قاسية .. وأخرى حنوناً كصدر الأم  
وأنا .. في المفترق الشائك .. أقف .. الثلج تحت أقدامي .. يذوب ويذوب ...  
صوتي .. يذوب  
الأشياء كلها تترنح أمام عيني ... تصير ثلجاً وتذوب في داخلي .. أحاسيسي  
كلها تذوب ...  
و....  
أتهاوى إلى الأرض .

## وللحب صوت

حُضِن يَدَيَّ بِكِلْتَا يَدَيْهِ .. هَمَسَ :

- كل عام .. وأنت بخير...

ودغدغتنى الهمسة الذائبة .. زرعتُ عيى فى لون عينيه .. هربت منى  
عيناه ... لكنى طاردهما بمجوع سنوائى الماضيه ... غرست كل حبي داخلها ...  
حاول مرة أخرى ... لكننى بلهفة من عيوني ، اشتعلت كل عواطفى ...  
تفجرت النار داخل سماء العين واغرورقت بالدمع الساخن ..

تساءلت بحزن :

- هل ما زلت تذكر؟؟

أغمض عينيه .. ابتسم .. شدَّ على يدي بحنان .. بقوة ... بشوق ...  
وانهمرت عليه كأنى المطر ... أحزاني ... حرمانى ... خوفى من كل شيء ...

ودموعى وكررت :

- هل مازلت تذكر؟؟

لمحت فى عينيه صدقاً :

- وهل أنسى؟؟

للحب طوفان رهيب ... تستطيع الأيام أن توقفه . تصير سداً يمنع  
الانفجار .. والغرق ... ولكنه فى لحظة ما ينهار ويتدفق الماء ليروى كل

العطش ... وفي داخلي كانت العروق ... والفروع ... والمساحات عطشى !  
ألقيت برأسي على صدره العريض .. وهمست من قلب عذابي :  
- كبرنا ... وشاخت منا القلوب ..

يده داعبت شعري :

- وحدي كبرت .. أنت لا تكبرين أبداً ..

- كان يوم ميلادي ... يوم عرفتك .

- وكان لي أيضاً .. يوم ميلاد ..

وتجىء لحظة ما بعد الانفجار .. الطوفان .. أنسى كل ما حولى ... وأنسى  
حتى نفسي .. أنسى كم من سنوات الهجر مرت .. ارتحمت على صدره ..  
سانقته .. وزعت شوقي على كل أنحائه ... ودفنت أنفي داخل زواياه .. لطالما  
داعبت هذا الصدر .. وعابثته .. لطالما تمرغ شعري على عُنْيه .. ودفنته ..  
دلكنه بيدي .. أنعشت فيه مكنونات كانت كالكثر المحبأ عن عيون  
الساحرات .. والعاشقات .. وكل النساء .. كان ذلك في الماضي ... ولكن؟؟  
هل أجرؤ اليوم؟؟؟

بل ... لقد جرؤت : ولكن : كيف ...

تموت التساؤلات حين ينفجر طوفان الصمت ... وينهمر العشق ليرى كل  
الأعشاب الميتة ... رغم الأميال التي أحسستها تفصلني عنه .. لا بل تفصله  
عني .. فهو لا يزال داخل روحي .. رقد صامتا .. بيدي أهدهد صورته لتهدأ  
وتصبر ... وكنت أصبّر نفسي - بانتظار عودة الروح إلى الجسد ...  
أنا .. ما زلت أحبه ... رغم كل سنوات البعد .. وهل كان بمقدوري أن  
أنسى؟؟

الصورة أمامي تتابع .. شعره صار مزروعاً بالذكريات .. كل شعرة بيضاء



تحمل رائحة عطري .. وطعم شفقي .. وفي عينيه ما زلت أرى صورتي .. هاتين  
العينين اللتين كم هربتا من بحر عاصف يتلاطم حول أيامي ... لكنها عادت ..  
وزرعتاني في أحضانها ... أرتوى ... وبألزامن الارتواء ... الذي كان ...  
انفصلت يدانا ..

جلس مكانه ...

جلست أمامه .. عيناى تمتلئان . ترغبان في مواصلة حذف الحزن الكبير  
الذى ملأهما طوال سنوات الهجر ... لكننى أشفت عليه .. قلت شاكرة :  
- سعيدة أنا أنك ما زلت تذكر .. هذا يفرحنى .

لبس نظارته .. تأملنى ... كبرت أمامه ... تفتحت مسامات وجهى ...  
أبنت رُماناً .. وتفاحاً .. وفرحاً .. وفتحت فى ذاكرتى كل الصور .

صمتنا ...

والذكريات بصورها تتلاحق ... وتقف عند صورة :

- سنلتق ذات يوم ..

- متى ؟ طال الانتظار ...

- سأسافر ..

- سألحق بك هناك ..

- سأنتظرك ..

- سوف أعوضك سنوات القهر ... سأعطيك كل ماتشتهى ..

- يبدو أنك تعلمت فناً جديداً .. صناعة الأحلام ..

- جدير بنا أن نصنع الأحلام .. لنحققها .

ويبقى الوعد .. قصيدة حب ... كنت أكتب قوافيها بسخف . وأتلوها

المرّة .. تلو الألف .. بانتظار يوم .. تتحقق فيه .. ويتم اللقاء .

دس قدميه داخل النعل ... فتح الباب الذى طريقته يد عدائيه .. أطل وجه  
عامل الفندق .  
- من فضلك .. ممنوع استقبال النساء داخل الغرف .  
ارتبك ...

تصلبت يده القابضة على أكرة الباب ...

لم أكن قد جلست بعد على حافة السرير اللاهث المتقرب ! وهذا العامل  
الكريه يبدو أنه تابع خطواتى منذ بدايتها .. كان ظلى دون أن أدرى . ظننت أن  
العالم كله سيغمض عيونه عن لحظة حب بين عاشقين طال وجدهما .. لكن  
الدنيا كلها تصير عيوناً فضولية تشتم الرائحة .. للحب رائحة .. للشوق رائحة ..  
وحزن الحب له أيضاً رائحة !

اعتذر من العامل .. واعتذرت له .. حملت هديته . سبقته إلى الباب ..  
العامل ينتظر .. لوح أسود يحول فرح اللحظة إلى مأتم ! كرهته ... حولت  
نظرى إلى الرجل الذى أعشقه ... لم تلتق العيون .. بل التقت خيبتان حزيتان .  
ويبقى الشوق المجنون يدوى ... افترقنا .. كانت ليلة واحدة .. جاء إلى  
أرض الحب للنتقى .. فكان لقاء تتوج بالحرمان .

الحلم يراد النفس .. فى الحب .. لا يأس .. الرغبة حارقة .. والحرمان  
يولد جوعاً إلى لحظات أخرى . يتكرر اللقاء .. وتكرر الخيبات ... وكل خيبة  
ترزع أملاً جديداً .. الدنيا ترفض .. ونحن نقاوم الرفض .

ينمو شئ عميق ما بيننا ... وشتاء يحى .. وصيف يرحل .. والحب ما بيننا  
لا يهتز .. ولا تساقط أوراقه .. وهو الحب الوحيد الذى عرفه قلبى .. ظل هو  
الوحيد الذى أحبيته ... وحرمتنى منه كل الظروف ... ويوم صار بمقدورى أن  
أتنفس هواء الحرية ... قال لى :

- لا يجب أن أسئ لك ..  
لكننى أحبك .. وأنت أيضاً ..  
هز رأسه موافقاً .. لكنه صمّم على رأيه المفعج :  
- سمعتك .. وكلام الناس .

دس السكين داخل صدرى .. وذبح أول فرحة لى ... صفقت يابه ..  
خرجت ... وأمسكت بقلبي ... عصرته ، مزقته .. وقررت أن أدفن كل  
الذكريات .

هربت !  
طال هربى !

كنت أعلم أنني أهرب من نفسى ... كنت أشعريوماً بعد يوم ... أنى أذبح  
الشيء الرائع الذى يتحرك داخلى .. كنت أنوى دفن صورة وجهه الأسمر  
الهادئ .. الذى تربع داخل الأعماق .. لكننى ذبحت نفسى ... وقدمتها قرباناً  
لإله حب جديد . صرت عاشقة ! معشوقة ! ظالمة ! مظلومة ! سجانة  
ومسجونة ! وسبحت فى الظلام . ولا تزال محاولاتي لقتل الصورة الحبيبة  
ولكن !!

ها هى الفرصة ... دقت ساعة الميلاد الجديد ... وقد اعتاد أن يرانى وأراه  
فهرعت إليه . إلى كل السنوات الماضية .

وسمعتة يهمس :

- كل عام .. وأنت بنخير ...

بعد هذا الهروب الطويل .. يذكر ..

طبعت قبلاقي .. استسلم لها بلفء .. عجبت ... لكننى فرحت ...

خشيت لحظة البداية ... سحبت نفسي من أمامه .. حامية عادت لها الروح من  
جديد ... واغتسلت من كل الأدران ..  
تساءلت وعيناي في عينيه ... وفي نفسي أفتح باب الفرح :  
- هل تنقذني من غرق جديد؟؟  
واحتواني .. وهدر الهمس بيننا .. « للحب .. صوت لا يقهر » .

## حاجز النار

من الزلزلة يا حبيبي ينفجر ألى .. يصرخ صوتى وعرقى يتصبب ... شعلة  
الغيظ تحتقن فى داخلى حتى أحس طعم النار فى فى ويدى ، فأستل الورقة  
والقلم .. وأكتب لك ، من هذا المطار .. وغيره من المطارات العربية التى  
أصبحت كالفواصل السوداء ما بين بلد وآخر ، ما بين قلب وقلب .. عقل ..  
وعقل .. ما بين الدم ... والدم .  
هكذا يا حبيبي تمزق الوطن الكبير ، ونصبت حدوده مشاقق للحنين المشتعل  
فى الأعماق ، حنين الأهل للأهل .. الأصدقاء للأصدقاء .. الأحبة للأحباب .  
وأنظر جواز سفرى المعتقل ... أتسلى ... وأرفه عن النفس الحزينة ...  
وأكتب لك ... وخط طولى يشقنى .  
هل جربت هذا الخط يا حبيبي؟؟  
إنه يفصلك دون أن تنفصل .. يشقك دون أن تنشق وترتاح فى العذاب .  
خط من النار .. لا تستطيع أن تستفرغه وتحلى منه معدتك وتستعذب الخواء  
من بعده .. ولا أن ينحدر فيخرج مغادراً ويربحك حتى لو قرّح المكان الذى  
ينخرج منه .  
هل جربت هذا يا حبيبي؟  
هل أحسست بخط النار يلتهمك من الداخل ، ويشويك فيتآكل لحمك

الطرى .. ويحف دمك الغزير بينا هو رابض لا يترشح ! وأنت تقاوم ...  
لكنك أبداً لا تيأس .. وأنت تذوب .. لكنك أبداً لا تنكش ثم تموت .. وأنت  
تحن .. لكنك أبداً .. أبداً لا تبكى .  
هو ذا ما أعانيه اللحظة .. الخط الطولى يسكننى . أحقد عليه .. فلا يثور  
لكرامته ويغادرنى .. فأظل مشقة من الداخل .... لكن نصفى يلتقيان .. هما  
في الرأس .. أفكر .. وأتساءل ... وأكتب لك .

\* \* \*

أكوام البشر .. وجوه غفرها السفر ... أطفال تبكى ... أطفال تلهو ...  
وتخرب .. وأشياء تنسكب من حقائب اليد ... وأخرى تنكسر ... هدايا من  
كل الأصناف .. يحملها الأحباب للأحباب .  
المكان ضيق ... لكن قلبي ساحة تملك بداخلها حباً وشوقاً وأملاً في  
اللقاء ..

يندس الأطفال بين الكبار ... ويثيرون الضيق ولكنهم أبرياء ... ابتسامة  
واحدة منهم تجعل العمر ليلة عرس ..  
والطابور بطيء ... طابور هنا لأهل البلد .. وطابور آخر لغيرهم .. الدم  
واحد .. لكن الطابور لن يصبح واحداً أبداً في الحدود العربية .

طابور ثالث للأجانب .. يخلو إلا من اثنين ، واحد اشتبهت لو كان لابنتي  
لون عينيه .. أما الثاني فكان عجوزاً كريهاً ذكرني بمدير المدرسة التي تركت فيها  
ولدى ذات مرة في بلاد الضباب ... فصاح : هذا مستر وولف ! إنه يخيفني !

\* \* \*

ملل ... ملل .. ووقوف يؤزم الساقين ، وتأفف خافت كلهاث الفئران  
داخل الجحور ، ينبعث من شفاه الوقوف .. لكنه لا يعلن معنى ، ولا يجرؤ أن

يرتفع ، فقد يصادر في صدر صاحبه إلى الأبد .  
العيون تتطلع بتوسل إلى الضابط السادي المرتاح على كرسية يقلب أحد  
جوازات السفر . يزحف الطابور خطوة .. أزحف ... وأنت في القلب نبضة  
تتحرك . وفي العين وهج جميل يشع . يغرد رغم الضيق والضجر .. يزحفون ..  
وأزحف .. وجهي الآن أمام وجه الضابط المزموم .. كل شيء في وجهه ملعون  
بالنفور .. وجه ساخط .. مقيت .. جعلني أشفق على أهل بيته .

مددت يدي .. فتسلم جواز السفر وهو ممتعض . فتح الجواز .. نظر لوجهي  
ليؤكد بأن التي تقف أمامه هي صاحبة الصورة الملصقة في الجواز .. ثم .. ركز  
على عيني المتوهجتين بصورة وجهك الذي تركته في مطار مشابه .. ورحلت .  
وشعرت بأنه يجسدي على هذا الفرع الذي ينغرس في عيني كالنبته دائمة الخضرة  
وهو محروم من هذا النبات .

- إسمك ؟

قرأ اسمي وسأل :

نظرت إليه بإشفاق .. مسكين ... هم علموه أن يكون صلفاً . عدائياً حتى  
لنفسه ... فظلاً ... عديم الذوق .. وبكل الذوق نطق باسمي ... فأحب هذا  
الاسم فجأة .. وكأنه قد صدر من ثغرك الذي أشتاقه اللحظة ! أقول اسمي ،  
أرفقه بابتسامة تمنيتها ترطب نظرتي .. فترطب وجهه كله ... ويبتسم ... لكنه لم  
يفعل ... فأشفق ثانية على أهل بيته وأتساءل :

كيف يطبق كآبته هذه ؟ وإلى متى ؟ يدخل بيته بها أم يرفسها بحلق قبل أن  
تمتد قدمه بخطوتها الأولى وتلامس عتبة البيت . هل يدخل فرحاً يحضن روجته  
ويقبل أولاده ؟ أم تراه يدخل ليرتمي حزيناً ... ويكي نازفاً آلام النهار متوسلاً  
لزوجته :

- أرجوك .. الحقيقى بحبة من الأسبرين .. أو .. بشيء آخر .  
شئ آخر قد ينسيه أنه تبرا من إنسانيته حين تعامل مع القادمين ..  
والمغادرين ... ويعذبني تصوري أنه ربما ينسى كل الوجوه التي كشرها .. وكل  
الأسماء التي راقبها .. وكل الإنسانية التي حقد عليها ..  
هل حقاً ينسى كل هذا ويريح رأسه على ذراعه الممدودة . وفي لحظة يكون  
شخيره موزعاً في أنحاء الغرفة مما يجعل زوجته تحمل لحافها وترحل ولا تنسى أن  
تغلق عليه الباب مخافة أن يتعدى شخيره الغرفة إلى غيرها .. وينام هادئاً ...  
وحيداً ... إذن : هم أمروه ... فعُودوه .. فطُوعوه ... فسلخوه عن وجدانه ،  
ونفسه . فهل تأتيه لحظة الوعي ويستفيق ؟  
رفع الجواز ... تصورت أنه سيرده لى . فددت يدى لكنه تدارك وسحبه  
قائلاً :

- انتظري هناك قليلاً .  
- هل في الأمر سوء لا سمح الله ؟  
امتعض ... ركل امتعاضه كلمات .  
- أفسحى الطريق لغيرك .. ابتعدى هناك ، وانتظري .  
ونفخ ...

لم أدر لماذا ... لكننى رأيت عينيه الجافتين تقعان على يدى التى انسحبت  
خائبة دون جواز سفرى وكانت مزينة بالأساور والخواتم . نفخ ! وكانت نفخة  
غيظ .. وحسد .. وألم .. نفخ .. وتمنيته لو لم يفعل .... تمنيت لو واثته  
الشجاعة ليقف .. ويصرخ في وجهى :

- أنتم تمثلثون بالذهب ... ونحن هنا في هذا المأزق الوظيفى نجوع ... ونحظى  
باهية حين نثير الرعب ونقول للناس : انتبهوا هنا الحكومة !



لكنه لم يصرخ ... ولم يفعل شيئاً سوى النفخة .  
باللجمرة !

وصارت الأساور جمرة .. صار وجه الدنيا أسود ، وصارت الطريق  
شوكاً ، والغامة البيضاء الناصعة صارت جناح غراب .. وصار الفرح الذى فى  
عينى حزناً ودموعاً .

لم لا يتحول هذا الذهب إلى خبز وماء ؟ لم لا يتحول فرحاً ، وسلاماً  
وابتساماً يزين الوجوه التى دفنوها بالخوف ، والسطوة !

فى لحظة .. تمنيت لو أعود إليه ... إلى صدر ذلك الضابط المملوء بالحق  
وبالغبط ، وأبكى مؤكدة. له أنى أشتري تعاسته بكل هذه الأساور فقط ..  
ليبتسم .. ويرتاح ... ويثور على هذه القواصل ويصرخ بأعلى صوته :  
« نحن أمة واحدة .. فلتكسر كل الحواجز .. افتحوا لنا الطريق .. وزقوا  
الناس المنتظرة وعلى وجوههم خيبات الأمل ... أمسكوا بأيدي الأطفال ..  
قولوا لهم زمنكم سيشهد الوحدة والالتحام »  
آه ... لو يفعل ..

آه .. لو تتحرك الجمرة ويثور ... عندها سوف يبرد هذا الخط الطولى ...  
وسوف تهمد النار المشتعلة وتبنى أجسادنا فى الداخل ... تنمو نمواً سليماً  
لا إغوجاج .. فيها ... ولا تشوهات . لكنه لم يفعل ! وأبدأ .. هولن يفعل ...  
هناك سيف يلمع .. وهناك موت حتمى .

ظل يمارس ساديته على كل الوجوه ... وكل الأسماء ... والطابور الطويل  
دودة ذابلة ، والأطفال تنام على صدور الأمهات ... وكثير منهم افترش أرض  
المطار التى كانت باردة كالثلج .

أنت في عيني .. تتحول نعاساً عذباً .. والخط الطولى لا يزال يحرق في  
داخلي .. ويمزق شراييني .  
أسمع اسمي أخيراً .. وأنت كالومض تلمع في عيني .. وكالسكر يطيرني  
فأهرع إلى شباك الضابط .. أستلم جواز السفر ... وكالعصفور أطيّر .. أبحث بين  
الأكوام المترصة عن حقيقتي وأتمنى لو فرغت من أنقائها لأشحن نفسي بها ...  
وأعود ثانية من حيث أتيت .

## الجدران ... تتمزق

قلت للزائرة أن تبحث أمرى مع المسئول الكبير.. فوجدى مع هؤلاء النسوة الأكبر منى سنأ يرعبنى ، أنا لا أنكر أنى اقترفت ذنباً ، وأننى أستحق هذا النفى داخل جدران السجن ! ولكن ! مع هؤلاء تُصبح للسجن أكثر من قضيبان ...

كررت رجائى للزائرة :

- أرجوك .. أريد أن أكمل تعليمى ... لم يبق على نهاية السنة إلا شهران ... أريد الكتب .. وأستطيع أن أمتحن آخر العام .. من هنا ... وعدتني الزائرة التى توسمت فيها نبلاً ما وجدته عند أحد ... لا عند أمى التى ماتت وشردتني ، ولا عند أختى التى تحولت فى بيتها إلى خادمة ... ولا عند زوج أختى الذى تبرأ منه ضميره ..

- المحرم !

- ألم تكونى قادرة على البوح لأختك بما يفعله زوجها؟؟

هذا السؤال . آه لو تدرى الزائرة كم طرحته على نفسى ... وكم ابتدعت من أجل الايحاء به لأختى مواقف عليها تسألنى .. فأفرغ شحنة الهم التى تثقل علىّ الليل والنهار ... لكنها كانت صمّاء .. لا تسمع إلا نداء الجارات والأسواق ...

- وأولادها ؟؟

سألني الزائرة .. فحدثتها بكل شيء ...

- أولادها مهملون عندي .. أذهب في الصباح إلى المدرسة ... أفر من عفاريت البيت ، لكن مسافة النهار تنتهي إلى حيث أعود خادمة ترعى البيت والأولاد .. إنني أعمل أمًا بالنيابة عن أختي ... والموقف تطور .

- زوجها !!

- أجل ! يبقى في البيت .. يحاورني ... يداورني ... يثيرني .

التقطت الزائرة الكلمة الأخيرة :

- كنت تشعرين ببعض المتعة !

حاولت أن أهرب من سؤالها ... أن أكذب ... أو أتغابي لكنني أبيت أن أكذب على إنسانة لطيفة ودود جاءت لتسمع قصتي ... وتساعدني ... وأبيت أيضاً أن أتغابي ... وأنا التي شهدت المدرسة كلها ذكائي ... وتفوقتي ... رغم ما كنت أعانيه من تعب في بيت أختي ...

- نعم ...

أجبت الزائرة بنجمل أحسسته يلسع وجنتي .. أجل أحس ببعض المتعة .. في البداية كنت أستسلم بدافع الخوف .. بعد ذلك .. صارت العادة جبارة .. وصار استسلامي بدافع تلك الرغبة التي تتفتح حين يبدأ .. هكذا ..

قالت الزائرة ... ودوت ملاحظة في دفترها الأصفر ... ثم أغلقت القلم وهي تلقى باستغرابها :

- أنا لا أتصور كيف لم تلاحظ أخذك ... أو معلماتك الانتفاخ في بطنك ... وأنت بعد طفلة لم تكمل عامك الرابع عشر .

- تصوريته أختي ورماً .. أو هكذا أقنعها زوجها .. حاول مرات عديدة أن يدوس على بطني .. لكنني أصرخ ! فيخاف صراخي .. أنا ... أنا ...  
- أكمل ...  
- أنا ما كنت أعرف ما هذا الذي أحمل ... لكنني فهمت أنه مصيبة تترصد أيامي القادمة ...  
- كيف احتملت آلام المخاض ! ولم ذهبت إلى المدرسة ذلك اليوم ...  
- هل جربت أنتِ آلام الوضع ؟؟  
سألت الزائرة اللطيفة .. شدت على أسنانها وقالت :  
- لا ... لم أجرب بعد ... ولكن .. أسمع منذ طفولتي أصوات القريبات ونساء الحى وهن يلدن في بيتنا .. لقد كانت جلتي - أم أمي - قابلة . يدها مبروكة .. والنساء يفضلن يدها على أيدي الأطباء .  
- لو كنت أنت التي جربت ! كنت ستعرفين كم تكون اللحظة قاسية !  
النساء في بيتكم كن يلدن على القراش ... أما أنا .. فلحظة الميلاد .. كانت في مرحاض المدرسة .

\* \* \*

يارب ..

يارب ..

يدى تضغط على الحائط ..

أختي فعلت هذا ذات مرة قبل أن يحملها زوجها إلى المستشفى ..

أكره أختي الآن ... هي ليست معي .. فتساعدني !

زوج أختي فعلها ... وهو ليس معي ...

رائحة المرحاض ..

رائحة ذبجي تفوح ..

ماء غزير ينسكب من عيني ...

عرق ينبت من عنقي ويصب في مجرى صدرى المتكور كنهز حزين ...  
 يدى على الحائط ... أشد ... أشد .. أغرس لحم شفتى بين أسناني ..  
 أتذوق طعم دمها المالح . عاصفة دائرية داخل أحشائي .. تتحرك باتجاهات  
 متعاكسة ... دوران موج في يوم عاصف .. موجة تعلو ، تصل حتى كبدي  
 الخاوى .. ثم إلى أسفل بطني . تنتهى الرعدة العاصفة . أتففس . لا أكاد حتى  
 تعود ثانية أشد .. وأقوى .. كيد تعصر الجبل الشفاف داخل جسدى .. تعابته  
 بقسوة .. يتكوم في مكان .. ثم آخر .. يعاود الصعود .. فالهبوط . يصعد  
 خفيفاً .. ويرد إلى أسفل بعنف . دوخة تلازم رأسي . تدور الجدران . تتسع ..  
 تضيق .. تتفاعل مع حركة الجبل الطرى .. ألوان تتشابك في عيني ... خيوط  
 عنكبوت سوداء ... أكاد أغفو .. لكن الجبل في داخلي يوقظ النعاس ... يعلو  
 يهبط .. يدور ... يدور .. يدور .. ينفجر بركان دافئ .. يتدفق على ساقى لرجاً  
 أضمر فخذى .. يتزحلقان بفعل المادة السائلة .. يتعدان .. يتعدان .. يفتحان  
 الطريق أمام بقية السائل ، ويمتد النهر اللزج حتى فتحة المراض المليئة  
 بالأوساخ . أكره زميلاتي .. بنات المدرسة .. هل مؤخراتهن عوجاء لتخطئ  
 الطريق ، لماذا يتكوم كل هذا على الأجانب .. أف !!

رائحة المراض ، رائحة الماء المتدفق .. أتذكر .. الرائحة نفسها .. رائحته ..  
 زوج أختي ..

يارب .. أنقذنى ...

أعصر هذا الجبل ... ليسقط الحمل ونحى جسدى .. ويموت العار ...  
 أتالم .. كيف السبيل إلى الخروج من هذا المأزق ؟؟

هل أصرخ ؟ هل أنادى إحدى العاملات !  
 هل أخرج إلى الساحة مستغيثة أجر مالى ودمى .. وفضيحتى ؟؟  
 صوت معلمة الدين يرن فى أذنى « وأما السبيل يسره » ...  
 إذن .. هو الله الواحد القادر على أن ييسر الطريق ..  
 يسره يا ربى .. افتحه .. أخرج هذا الذى فى جوفى ... هو ليس لى .. هو  
 لأختى ... لكنه تحدى الأخلاق والضمير والعقل ... وانزوع فى بطنى أنا ..  
 تأتى العاصفة قويّة .. يهتر الجبل ...  
 يارب .. يَسْرُ ... يارب ....  
 و .. يندفع الجبل مرة واحدة ..  
 وأبعد فخذى ... يخرج الجبل من مضيق ... تتمزق الجدران ..  
 والشيطان ... وأسمعها تشق نفسها ... كما يشق قماش الثوب السميك .. شيط ..  
 شيط ..  
 نرف ! بركان ! عرق ! كله يختلط ب كله .. أصرخ .. صرخة واحدة ..  
 وتكوم أمامى قطعة لحم متحركة ... لها رأس وجسد .. ونبض .. ها هى بين  
 قدمى راكدة .. تتعلق بجبل تمتد حتى داخلى .. اسحب .. اسحب بكسل  
 وتراخ متعب ... تندلق قطعة حمراء أخرى .. لكنها بلا رأس ، بلا يدين ، بلا  
 نبض .  
 أنظر إلى الطفل .. أنفحصه ولد رجل آخر .. زوج أخت آخر . أركع ..  
 رائحة الدم تدخل أنفى ، زفرة تختلط برائحة السائل الدموى ، المالى ... وأوساخ  
 الزميلات ، لم يعد ذلك الزمن بعيداً .. كانوا يثدون البنات ، ليتهم وأدوني ، ما  
 كنت أريد أن أكون أمّاً بطريق الخطأ .. فلماذا أخطأتنى دروب زوج أختى ؟؟؟  
 ابن من هذا ؟ ولماذا يعيش ؟؟

أأحملة وأخرج به ؟ هل سيتكلم؟؟ وهل ستغفر لى العيون التى ستحيطنى  
بالدهشة وتنعتنى بالرديلة .  
أمد أصابعى المرتجفة ... أبحث عن دائرة العنق الطرىّ أحيطها بالأصابع  
وأضغط ، أضغط ، ولا شىء فى ذهنى إلاّ الخلاص من ابن ليس ابنى ...  
صمت النبض ... وسال لعاب من ثغره الذى لم يلثم ثغراً بعد ... سككت  
الحياة التى لم تبدأ بعد ... وسكت بعض خوفى ...  
أذكر أننى أخذت أطرق الباب بشدة .. وأصرخ .. وأصرخ .. وآخر شىء  
رأيت كان وجه الناظرة . وقد شوّهته المفاجأة .



## البرءوس إلى أسفل

خرجت للتو من السجن ... شملنى العفو .. ولا أدري لماذا .. هل بسبب سلوكي الطيب داخل الأسوار أم أن أحدهم قد سعى لهذا الأمر - رغم أنه لا أصدقاء لي ولا معارف .

« كلهم تبرءوا مني بعد أن أصبحت مجرماً »  
فرحت بحريتي ... فجأة شعرت أن أجنحة نبتت لي وأنها تطالبني بعملية طيران سريعة .

« اضرب الفضاء بجناحك .. هل كنت تحلم بهذه الحرية ؟ »  
ثماني عشرة سنة ... بعد ظلام السجن .. رأيت الأفق من حولى كرة ضوء .. تلمع ، وتثير ، وتخطف بصرى ، فأملده .. أقطع به أطول مسافة ممكنة .

لكنني واقف مكاني بعد أن خرجت من الباب الذى أوصد دوني سنوات طويلة .. كان القاضي يرى أنني أستحق الشق .. لكن الدفاع أصر أنني ارتكبت جريمة دفاعاً عن شرفى الذى أهدرته زوجتى .  
جريمة ؟؟

ما الذى يجعلنى أتذكر؟؟ لقد انتهى ذلك الماضى ... أنا الآن بحاجة إلى مستقبل أكثر رحابة ...

أى مستقبل؟! عمرى الآن جاوز الخمسين ! فهل من مستقبل يرحب بى ويربت على كفتى بخنان؟!

لعنة الله عليها ، لم يشف غليلي بعد .. لو كانت على قيد الحياة ، لما ترددت فى ارتكاب جريمة ثانية ! وفى هذه اللحظة بالذات .

كان يجب أن أقتلها ... مرة ومرتين .. وعشراً ... تلك المرأة المجنونة - زوجتى سابقاً - الله لن يرحمها رغم أن رحمته وسعت كل شيء !  
أين أذهب الآن؟

إلى بيتي؟ لا أظن أن الأرض بقيت كما هى ... ولا البيوت ، كذلك ...  
ولقد نسيت حتى اسم الشارع الذى كنت أقطن فيه .

تحسست جيبى ...  
- حسن ، قليل من التفود يفيد .. و .. تلك هى ساعتى واقفة .. أتعرق فيها ..  
أهزها .. لكنها واقفة !

غريب أن يقف الزمن ! لكنه هناك خارج إطار ساعتى يتحرك ، يسرع ..  
ربما يهرول ... والأ فكيف مرت كل هذه السنوات الطوال ؟  
سرت ...

وقفت على الرصيف .. الهواء منعش .. نحن فى شهر ديسمبر الشمس ساطعة ... لكن الأرض رطبة ، مبللة الوجه .. ويبدو أنها قد أمطرت ليلة البارحة .. الشمس اليوم أشرقت تستقبلنى .. وحدها تستقبلنى ... لكن وجهها عنى بعيد . فكيف أعانق هذه الوجه الدافئ البعيد؟؟

آه ... لقد كان وجهها دافئاً ... لكنها خدعتنى .. ومسحت الخديعة من نفسى كل رغبة ! فلم أعطها شيئاً .. وهى تصرخ باستمرار :  
- أنت زوجى ... وملزم بى ..

- لا أستطيع أن أعطي شيئاً ...
- أنت لا ترضيني ... لم تفكر مرة أن تشتري لي ثوباً جديداً .
- عندك ملابس ... وجسدك مستور !
- أريد شيئاً منك .. المرأة تحب الرجل الذى يصرف عليها ولا يبخل ! يرضيها مادياً .
- « ابنة الكلب .. لم تكن تفتنا تعيرني بفقرى »
- لولا ما أحضرته معي من بيت أهلى ... لكنت عارية في بيتك
- ربما يكون هذا أفضل .
- أفضل؟؟ ولماذا؟؟ أنت حتى لا ترضيني جنسياً
- « اللعينة ... تعيرني بعجزى » .
- أنا امرأة ! هل تعرف ماذا يعنى هذا؟؟
- « أعلم .. بالطبع أعلم .. لقد تزوجتك فاكشفت أنك امرأة » .
- كل النساء يعرفن المتعة .. أنت فقط رجل لا تجيد الصنعة ... أنا لم أندوق متعة معك .
- « بالطبع ... هذا صحيح لكنك تذوقتها مع غيري أيتها المخادعة » .
- أنت عاجز ...
- لم أكن عاجزاً أبداً .
- « في الليلة الأولى فوجئت بأنها ليست بكرأ .. بكت .. توسلت .. وقبّلت قدمي .. وطلبت السر .. أشفقت عليها رغم الطعنة .
- في الليلة الثانية حاولت .. فرأيت في وجهها صورة رجل يمد لي لسانه شامتاً ... فانتفضت .

وفي كل الليالي التي تلت ... حتى ليلة الجريمة .. كان لسان الرجل يمتد في وجهي .. وانتفض ..

زقق بوق سيارة .. انتفضت هلعاً .. هذا الصوت لم أكن أسمعه وأنا في السجن .. كل شيء هناك كان هادئاً . السيارات لا تقف .. أشير إليها فلا تقف . باصات طويلة ... تحمل أكاداساً من البشر .. لا تقف ... وفصلت المشي .. الرياضة التي لم أمارسها منذ ثماني عشرة سنة .  
التقيت شرطي مرور ... سألته عن مكان ما ...

المكان الذي سألته عنه كان قهوة قديمة أجتمع فيها مع مجموعة من الأصدقاء نشرب « الكدو » ونأكل « الباجلاء » .  
لم يعرف الشرطي المكان .. قال :

- نحن لا نعرف أكثر من حدود عملنا ... اسأل غيري  
« في إحدى رحلاتي إلى الخارج أيام الشباب سألت شرطياً عن مكان ما ..  
فأخرج من جيبه خريطة أنيقة فردها أمامي .. وأخذ يشير ويشرح .. و...  
أخذت منه العنوان كاملاً ... وشرطتنا هنا لا يملكون خرائط !  
معه حق أنه لا يعرف . »

توزع عيوني فرحة بالنسيم ، وبالشمس ، وبأصوات السيارات ، وبلون  
القضاء ... الذي بلا لون .. وتصطدم بلون إسفلت الشوارع .  
« قبل دخولي إلى السجن .. كان لون الإسفلت أسود غامقاً » .  
الشرطي لا يزال واقفاً .. ربما ينتظر سيارة ما .. ألفتت إليه

- ألا تلاحظ أن لون الإسفلت تغير ؟

قال دون اكتراث وهو يشير لسيل السيارات الطائشة

- من كثرة الأموات تحت العجلات

ارتجفت

«كثيرون إذن يموتون كل يوم ... أبرياء ... يُسحقون تحت العجلات فلماذا عاقبوني حين قتلت؟؟ وكانت القتيلة مجرمة .. خدعتني .. فأصابني العجز نتيجة خداعها .. ثم صارت تعيرني بعجزى ليل نهار . ثم بحثت عن المتعة مع غيرى ... فعجزت عن الصبر .. أمسكت بالمطرقة وانهلت على رأسها بالضربات حتى ساح سائله أمامي .»

قدماى تقودانى إلى موقف أحد الباصات .. أفرض نفسى داخله .. وأتركه يمضى بى .. ويمضى .. لا أدرى إلى أين .. كنت أنتظر أن يمر من شارع أعرفه .. أو سوق أذكرها .. أو بيوت قديمة أعرف من بينها بيت صديق قديم ألتبس منه الرحمة .. والعون

لكن الطرق ضاعت .. ولم أجد بداً من الترجل .. عند آخر محطة وقف فيها الباص . منطقة مزدحمة .. عرفت فيها سور مدرسة قديمة عملت فيها أول ما عملت مدرساً للرياضة البدنية .

فرحت .. أطلقت لساقى العنان ، تجولت فى المنطقة .. بعض آثار تدل على الزمن الذى مضى . وكثير من الجديد التهاق الملى بالإعلانات والياфطات وبالأسماء التى تحمل صفات مختلفة ، التاجر ، المقاول ، المحامى ، الطبيب المهندس ، إلا المدرس . هو الوحيد الذى لا توجد لافتة باسمه .. ولولاه لما كان

الطبيب ولا المهندس ولا غيره من حملة الشهادات والصناعات جلست فى مقهى .. طلبت شايًا... وأخذت أتأمل الشارع والمارة والسيارات المحتشدة التى تسير ببطء وتقف طويلاً ، حتى يتسنى لها أن تمر نتيجة الزحام .

تقف سيارة فارهة تقودها امرأة .. وجه نسائى بلا شك أنا أعرفه ، الزحام

شديد .. والسيارة تقف بصاحبها ، أترك مكاني ... أقرب ... وأمد رأسي  
داخل السيارة من خلال الشباك المفتوح ناحية اليمين . تلثفت ثائرة . لكنها تفاجأ  
بي ... أجل .. هي .. ولقد عرفتني بعد كل هذا الزمن ... وقبل هذا عرفتني  
ذات وجه ملئ بالبراءة ، وبالطيبة ، ولها عينان يبهر فيهما الطهر والعفاف لكنها  
اليوم في وضع مختلف .. ومع ذلك عرفتني وعرفتني

- ألسنت فلانة ؟

- أجل .. وأنت .. ألسنت

- أنا .. أنا هو بعينه .. خرجت اليوم فقط

- آه ....

هزت رأسها .. وسألت

- ماذا تفعل؟؟

- استدرت برأسي قليلاً أشير إلى القهوة .

- لا شيء ... أحتسي الشاي هنا .. ولا أدرى بعد ذلك ماذا أفعل

- اصعد ...

- ها ؟

- هيا اصعد قبل أن ينفك الزحام ... ستحدث في السيارة

صعدت ...

نسيت الشاي ! وثن الشاي .. وصعدت .

دخلت إلى أنفي روائحها الشهية ! أول امرأة أقابلها منذ ثمانية عشر عاماً

وتعرفني .

- كنت جارة لنا ...

- أيام كنت شاباً .. تعاكس كل البنات ...

« فرحت .. هى تذكر شبابى إذن .. لكنها لم تكن أبداً واحدة من البنات  
اللائى عرقهن ، واحتفظت بقطعة من ملابسهن فى خزانتي .. لم أكن أكرر  
الفعل مع واحدة .. كنت أكره هذا » .  
ابتسمت وقلت :

- إلا أنت .. كنت غير كل البنات !  
قهقهت بصوت ينم عن نفسية ساقطة  
- كان هذا أيام الفقر ! أما اليوم .. فأنا مليونيرة  
حاولت أن أكذب ما فهمته نفسى  
- هذا بالطبع لا يمنع أنك الآن امرأة فاضلة كما كنت فتاة ذات سمعة طيبة  
مصصت شفيتها .. تحدثنى بنظرة فاسقة لم أستطع تكذيبها هذه المرة  
وأكدتها كلماتها :

- كنت بلهاء .. أما اليوم فأنا أعيش حياتى طولها .. وعرضها .. وعمقها ليس  
أروع من أن يقطف الإنسان ثمار المتعة من كل روض .  
« كلهن مثل زوجتى .. يبحثن عن المتعة » .  
كان الزحام لا يزال .. وطابور السيارات واقف لا يتحرك شعرة . فتحت  
باب السيارة . وهربت .. بعد أن نظرت لها نظرة حقيرة ، وبصقت على الأرض  
أمامها .. وعدت إلى مكاني .. فوجدت الشاى لا يزال لكنه صار بارداً  
تنهدت ..

فت من مكاني بعد أن دفعت ثمن الشاى .. هذه الدنيا الواسعة تضيق من  
حولى .. وتضيق حتى لكانها جبل واحد يشد على عنقى .. لا إنسان أعرفه ، ولا  
أهل ، ولا صديق ألجأ إليه .. ولا بيت ينتظرنى .. لأرتاح فيه .  
« كان السجن بيتى .. كانت لى فيه غرفة مع زميلين تسامر وتتحدث ...

وتنازح ... وأحياناً تغلبنا الرغبة فنحققها » .

هناك بيت كبير أعرفه .. بيت عائلة .. ترفرف عليه حمامات بيضاء سرت  
أبحث عنه .. لعله يفتح لى أبوابه .. يعتبرنى ابناً من أبنائه .. لكننى وجدت  
مكانه مقبرة كبيرة ... وعلى كل قبر ينصب شاهد أسود كتب عليه اسم الميت  
وتاريخ وفاته باللون الأبيض

اقتربت من حارس المقبرة :

- ألم يكن مكان هذه المقبرة بيت كبير يضم عائلة واحدة ؟

هز العجوز رأسه .. وحرك شفتين يلتصم الأسى فيها

- بلى يا ولدى ... لكن أصحابه هجروه ... فصار مقبرة

- وأين ذهبوا ؟

- ذات ليلة ... هبت عاصفة ومليّة حمراء ... حملت معها آلاف الجراد

فخاف أصحاب البيت .. هربوا إلى مكان بعيد .. وسكن الجراد البيت  
لسنوات طويلة .. أكل كل ما فيه .. ثم رحل .. وانتهى الأمر كما ترى الآن

صار بيت العائلة الواحدة مقبرة .

- وأنت .. حارس المقبرة ...

بكى الرجل .. مسح دموعه بكى رداً .. وقال عبّر نشيج متقطع

- أتأمل .. أن يعود أهل الذين هجروه .. فيحيوه .. ويلتئموا ثانية

طبّط على كفه بخنان :

« لم أكن أفعل ذلك مع زوجتى » .

- لا تحلم أيها العزيز ... لا تحلم ..

لكنه انتفض ولمع فى عينيه شعاع . مسح الدموع

- بلى .. إني آمل ... لا بد أن يعودوا .. ويعود البيت



هزرت رأسى مشفقاً :

– الأموات لا تحيا .. خير للميت أن يبقى ميتاً ... وللتائه أن يبقى تائهً  
تركته ... سحبت قدمين ثقيلتين .. لم تعد رغبة ما تشدنى للمشى .. وجوه  
الناس التى تقابلنى إما صفراء بائسة أو متخممة حتى لتكاد تنفجر ! الأطفال  
يتسارعون بين السيارات يبيعون الأشياء الصغيرة من أجل أن تسد أفواههم  
الجائعة التى تغذى من جفافها الذباب .

أرخيت جسدى .. تهاوى كأنه بانتظار هذه اللحظة تأملت الفراغ من  
حولى .. لم يعد فراغاً نقياً ..

يا إلهى ..

ثمانية عشر عاماً .. كنت بعيداً عن الدنيا – فأعود إليها لأجدها تدور .  
مقلوبة حتى صارت حياة الناس إلى أسفل .. وعيونهم إلى أسفل .. إنهم لا يرون  
إلا أجسادهم الممتدة إلى أعلى .. فوق رؤوسهم .. ويوماً بعد يوم .. ينزلق  
الجسد ويدفن الرأس .. وتصبح كل المدينة مقبرة لكل الناس  
بكيت ..

لم أكن أبكى أبداً ... حتى عندما رأيت جسد زوجتى غارقاً فى دمه ..  
والجيران وأهلهم يولولون ويتحبون بمرارة .. كان الجسد الميت أمامى كالذباب  
المهروسة ، شيئاً .. لا قيمة له ... ولا يجب البكاء عليه .  
الناس ... كالذباب .. يحطون .. ويرتفعون .. يمتصون دماء بعضهم  
بعضاً ... ثم يهرسون إما تحت عجلات السيارات .. أو عجلة الزمن . لا  
فرق .. لكنهم بالتأكيد لا يشعرون بالأمان ...

« هناك فى السجن . لم أكن أخاف من شىء .. آكل وأشرب .. أضحك ..  
وأتكلم .. وأمارس الجنس بطريقة .. أو بأخرى حسب الظروف .. »

الدنيا ضيقة .. وفي السجن تكون أرحب .  
رفعت جسدى .. وتركت لقدمي حريتها في المشي .. في الركض .. في  
البحث عن جريمة أخرى تعيدني إلى حريق .

## لا خبر ... لا ...

الموسيقى طوفان ... والقلب غريق .. والجلد يتنفس من تحت الثياب فينفث  
رائحة سلخه القديم ... والصدر .. عشق يتوارى .. ووجد يتنامى بين  
الضلوع ...

والطبل ، والطار .. وصرخات المعجبين والمعجبات . بصوت المغنى ذى  
البحّة الحزينة .. وكلمات الأغنية دبائيس تنخر الذاكرة .. وتترف أحداثها  
« لا خبر .. لا كفيه .. لا حامض حلو .. لا شربت » يغنى .. وهم يصفقون  
« قلبي يحزن ... فأين الخبر؟؟

« لا خبر » ....

انقطعت الأخبار بيننا .. عينك السمرراوان رحلتا .. مُدناً من الحزن  
الأسود .. تلّوْحان من البعيد .. حيث أنت .  
« ولا كفيّة »

وكنت تلّوْح بها .. عريتَ شعرك المجدد الكثيف ولوحت بها مودعا وعصرت  
حزنى .. من خلف الشباك الزجاجى .. ففاض عصيره دمعاً أحمر !  
يغنى .. وهم يصفقون بانتشاء حلو ..

نسيت طعمه .. منذ نسيت جلتى حنانها .. وثارت على ..

يوم كنت طفلة .. حملت لى حامض حلو .. وبرميت وأشياء أخرى  
طرية .. حلوة المذاق .. لكنها بعد ذلك .. غرست نظرتها المرة فى وجهى  
وزعقت :

- غريب ! غريب ....

ونفخت ثورتها ... ورماد جسدى المسلوخ يتوقد أمامها ناراً ... وهى  
تنفخ .. وتنفخ ... ويشتعل اللهب ... والأكف تشتعل بنار الإعجاب  
يصفقون ... كأنهم يضربون أبواب الذاكرة المنسية أشياءها تحت الركام ... وهو  
يغنى ... والحز يقطر من الصوت أحمر .. كقطرات « الشربت » .

« والشربت » الأحمر على الصوفى يدور ... وضاريات الطبل ، والطار  
يشرين .. وأرى دمي ... فى الكئوس .

رائحة الدخان تخنق المكان ... ورائحة جسدى شواء قديم يفوح .. وحدى  
أشمه .. وأتلمس اللحم الذى سلخته سياط ثورتهم .. وحرارة صوت جدتى .  
تصرخ بعنف :

- غريب ! غريب !

وكلهم هنا أغراب تألفت آذانهم .. وحده يغنى .. غريب عن الدنيا التى  
يتيه فيها صوته ....

« لا خبر .. لا كفيّة .. لا حامض حلو .. لا شربت ... » وهم  
يصفقون ... والأكف سمراء حرة طليقة ... وكفى الحارة تشد على ثومها ..  
وكفّ أبى الغليظة تلوح ، أقبلها فى الصباح ، وفى المساء .. واجب يومى كرهته  
وثرث عليه ذات يوم ... فتمردت ... وحين مدّ كفه تركتها معلقة فى الهواء  
وصوته المتسائل :

- أراك لا تقبلين يدى ...

- وكانت نفسى الحبلى بالحرمان مشمثة فرددت  
- مخاط أخوتى .. و « سعايلهم » على كفك !  
وذكرنى بنظرة حمراء  
- بالأمس رفضت حليب « النوق » الذى قدمته لك  
قلت :  
- لقد شرب اخوتى منه قبلى  
هزئ بى :  
- اشمازت نفسك منه .. بينما هو حليب أصيل .. أهداه لى أحد الأصدقاء  
الأثرياء .. هل تعرفين ماذا يعنى هذا ؟  
- لا يهمى .  
قلتها .. نصفها خرج شجاعا .. وآخرها جبان يسحب نفسه .... وكان الرد  
تهديداً :  
- حين تكبرين ، سأزوجهك سيداً ، مثل أختك ... وستعيشين فى قصر كبير  
وأصلحت الخطأ بقولى  
- قصيدك قبرا ! أخرج من قبر لأدفن فى قبر آخر ... أنا يا أبى أكره القصور  
وأكره من يعيشون فيها ..  
- تسمين القصر قبرا ... والعريس ؟؟  
- أسميه الدفان ... والقاتل .. أنا يا أبى لن أتزوج  
- حين يأتى العريس ... ستحيينه .. سيقدم لك حليب النوق ... وستشربينه  
حتى لو بصق فيه ! ستحيين منه كل شىء ... وستقبلين يده .. وربما قدميه ..  
ستشمين عرقها الذى تفوح منه رائحة العز والشبع الذى تعودت عليه هنا أنت  
أصيلة والأصيلة للأصيل

وقلتها :

- لا ..... -

وأعلنت عصياني ... مرة ... وثلاثا ... وعشرا .

- لا ... لن أتزوج من مختار ... وسأبحث عن رجل آخر . رجل تفوح من قدميه

رائحة التعب ... فلاح تناسل الديدان من تحت أظافر كفه التي تزرع أو ربما  
عبد مجلود ... عند سيده ألف جلدة ! أريده صافي العينين ... لم يرهق لألاء  
الذهب بؤبؤيهما ولم يذق حليب النوق ويتخم ... ولم ترتج ضلوعه على أسرة  
الحريز والديباج ... أريده ... رجلا من الأرض .. يعشقها ويلتحم بترابها .  
وينام على عشبها .. وأناام على زنده .. أغفو ، وأحلم ... رجل واحد ! لامرأة  
واحدة .... وليس مثلك يا أبي تنتقل كعقرب الساعة من جسد إلى آخر  
تحرق ، وتشتيع ، والأرض عطشى ... كيف تنام يا أبي كل ليلة في فراش !  
ولماذا تريد أن تهديني رجلا ... يملك فراشا أو فراشين غير فراشي ؟؟

دعني أبحث .. أبحث وحدي

أبحث عنك في أزقة الذاكرة التي تراكمت فيها الأحداث .. أبحث في  
وجوه الرجال المصطفين أمامي .. يتأيلون .... ويصفقون ... ويرددون مع  
المغني حزنه ، فرحه ، كلماته ، ألحانه ... وأتمنى أن المح في وجه أحدهم شهاباً  
بك .... وحزناً يشبه حزنك .. لكن ملاحك غائبة .. هاربة من كل  
الوجوه ... مدسوسة في زاوية واحدة من الذاكرة ... يوم رحلت .. ووجهي  
يودّعك من خلف الزجاج ... وأنت تلج لي بكفيتك الحمراء المنقطة .. التي  
نحلم ... ونحلم ... بالوطن . بالعودة . ويكفك الذي عرف معنى التعب كفك  
الغريب عنهم ... القريب إلى قرب أنفاسي ... ولهاثي ... ونبضي

يصمت المغني ... وفي الذاكرة حنين لا يعرف الصمت ! ربة البيت تقترب

منى .. تقدّم الصحن .. والسكين . قلبتها بيدي .. ريشة أرسم بها على النفحات  
الحزينة خطوط الحكاية التي كانت .

\* \* \*

وكان الحب ... ضيف حل في القلب .. ونسف كل الفوارق ... لم ترفع  
رأسك لتناول الشمس فتحرقك .. ولم أنحن لتخدش الأرض وجهي .. كان  
الخط بيننا واضحاً .. متيناً ... وتلاقت كفانا .. تتعاهدان ... وتعلنان خبر  
الحب الحالم باللقاء الأبدى ! لكن اعلان الحبّ النظيف فضيحة ... وحديثك  
لأبي كان جريمة عوقبتا عليها بقسوة

حتى جلدني .. نسيت حنانها ... وأكدت :

.. حلاة الثوب رقعته منه وفيه « ... وهذا غريب !

وامتدت كل الأصابع .... تبصم رفضها على القلب ، والجسد ... وكفّ  
أبي نار تسلخ جسدي . وتسلخ . وأنت ! رعبٌ يهدد أمن العائلة ... ولا بد من  
العقاب ....

وتترك الأرض التي بذرت فيها الحب .. تتركها مرغماً ويبقى الشواء على  
جسدي بانتظار لمسة النسيان

يبقى الصحن .. والسكين .. تافهين .. مركونين على الطاولة الرخامية  
أمامي .. تماماً كما بقيت أنا .. فلم يأت الرجل الذي يحلم به أبي .. ولا جاء من  
يسقى الشباب حليب النوق ، ولا من يطعم حتى السم ليريح النفس من أثقالها  
الطعام مصفوف .. أنواع يملأ المعدة بمجرد النظر إليها .. فلا تشبهها  
النفس .. ولا ترغب في رائحتها .. ولا تبقى إلا رائحة الحبّ التي لا تقوى جدران  
القصور وأسقفها المذهبة على خنقها ..

أنسلّ من المكان .. وصوت المغني يتقاطر حزناً في أغنيته الجديدة  
« ودّعوني .. ودّعوني .. » .

## الملمص

ستأتى الآن يا سعود ... والليل أوشك أو كاد أن يودع بطانته السوداء وأنا .. هنا .. بالذل الذى يرقد فى داخلى أنتظر ... فى الفراش الثلجى ، عشة جافة أنتظر حتى يأتى هديرك ... وتشتعل عاصفتك . وفى الخارج عاصفة شتائية .. وصراخ الطبيعة أرحم من صراخ عينيك .. وحجرتك .. وأوامرك - قومى .. أريد ماء ...

تصرخ أنت ! والليل يصرخ .. وتصفعنى كفه السوداء . والذل فى الداخل يصرخ .. يشق عظامى .. عظمة ، عظمة - وأصداء صوتها وهى داخل « مسبحها »<sup>(١)</sup> الدافئ تصرخ .

- نوره ..... يا نوره ....

وأهرول ... أدق الباب الخشبى المتآكل

- نعم يا زوجة أخى ...

- « خلص الماء » ... إزعجى من البركة

وأزفر مرة .. ومرتين .. لكننى ملزمة أن آتى بالماء ... وإلا سيطالنى بها عصا حامية دائماً .. وتثار فيها الذى يتقاذف على وجهى كالرذاذ المر .. ويدها كالعنكبوت الأسود تصل إلى عنقى .. واليتم .. الأم التى ماتت ... والأخ

---

(١) المسيح : الحسام .



المرتعش دوماً أمام صراخها ... كل هذا جعلنى أمد الخطو السريع إلى البركة  
المتربة وسط الحوش ، وقد اهترأت أطراف عنقها المربع ... والدلو جنين  
محذوف على الأرض ، يتدلى حبله السرى داخل البركة  
- الماء .... الماء ... يا نوره ..

تغتسل ... هى تغتسل ، ويوم تفعل هذا فان الليلة مقمرة .. والسطح  
وفرشها الذى تفوح منه رائحة البخور ورائحة جسدین شبت عینای من عربها  
وحفظت تناجیهما ... ينبوعان شهيان يطفئ ظمأهما الالتصاق

\* \* \*

وأنت !!

جسدك الدبق ... تأنيى كل ليلة .. تسبقك رائحة جسدك ... ورائحة  
الشراب المتخمّر تفوح كرائحة مسلخ لم يغتسل بعد فأرجوك  
- « الله يخليك يا سعود » اغتسل قبل أن تدخل الفراش . لكن طعم سكرك  
يفوح من بين أسنانك وتصدمى بقايا السهر والمجون  
- هذا جسدی الزوجی .. وعليك أن تقبله كما هو  
يركبك عنادك .. وتلتصق جسدك القدر بجسدى .. لكنك لا تفعل .. يمتد  
بینی وبينك وجهها .. وتلك الذكرى ... وتنام .. أنت تنام .. وعینای وحدهما  
لا تنامان ... حزن يبحث فى قرار الليل عن شفق .. عن سماء .. عن قلب عن  
شئ يسد فى أذنى مصدر الصوت الذى كان .

\* \* \*

- يا نوره ... الماء ... أعمانى الصابون .  
وأستعجل .. والدلو يستعجل هو الآخر ، ويمتط الحبل أمامى كجسد ثعبان  
خائف .. يهرب ... ويهرب ويسقط فى بركة الماء .

فزعت ... وانحنيت برأسي نحو الداخل ... أطل في البركة الرطبة .. كانت  
الصراصير الشقر الصغيرة تتطاير ، وثمة بيوض أخرى حمراء تلتصق بالجدار  
الأسمنتي ، صوتها ملح يستعجل .. وعيناي تجولان باحثتين عن الدلو .. لكن  
الدلو صار في القاع ، ولم أر سوى صورته في وجهي الخائف منعكسة في البركة  
تمتجج بفرح الماء .

ودعت وجهي .. وأسرت إليها

- لقد « طاح » الدلو في البركة

ولعلع صوتها في الداخل

- طاح<sup>(١)</sup> حيلك إن شاء الله .. إذهبي بسرعة إلى بيت « بو سعود » وأحضري  
الملمص .

والنشوة تطير بي .. ودييب في القلب يداعب . وأنا في طريق إلى بيتكم  
فكرت

- لماذا لا يكون عندنا ملمص يغنيا عن أستلاف ملمص الجيران في كل مرة ؟؟

لكنني عدت وحمدت ربي .. لولا هذا .. كيف سأراك ؟

وتحرك في القلب فرح ! أنساني وخز الحصو تحت قدمي الخافيتين اللتين  
تعابثان التراب .

وحين امتدت يدي لتدق الباب تساءلت

- هل ستكون في الداخل ؟ هل ستكون ؟؟

وانفتح الباب ... كان وجهك كالشمس تشرق أمامي .

- أنت ؟؟

همست بها فرحا . كأنك رأيت وجه القمر !

(١) طاح : سقط .

- نعم .. نريد الملمص .
- الآن !
- زوجة أخى فى « المسيح » نقد الماء .. وتريد
- انشرح وجهك .. وهتفت
- إذن ! هى فى المسيح !
- أرخت الرمش خجلا وأحسست ناراً تشوى وجتى
- نعم .. هى فى المسيح .
- وأنفلت إلى الداخل انفلات مهر تعلم السباق . جئت والملمص بيدك يتدلى
- بأطرافه المعقوفة .
- سأذهب معك .. أنا سأخرج الدلو .. وسأزعب الماء ... وترافقنا ..
- فجأة ! أحسنا أننا كبرنا ... والنبض ، له جناحان . والأمل فضاء يتسع
- لكل الأحلام المعرشة فى الداخل .. وأنت تهمس .
- هل تحبين مثلى ؟؟
- وأسحب العباءة .. أسد بها نصف وجهى .. أواريه عنك . وجه طفلة
- كبرت .. ودخلت عامها الثالث عشر .
- ونسير ...
- كان لرفقتك حلاوة الزلاية .. تقطعها مرارة سؤالك
- لماذا تكرهين زوجة أخيك ؟؟
- نفيت عن نفسى .. كنت بعد طفلة لا تملك أن تكره . وكنت فى قلبى
- العصفور المرفوف الذى يملأ المكان بكل الحب
- هى التى تكرهنى .. تحملنى فوق طاقى .. وأنا أتعب
- قلت معاتباً

- لا تعانديها .
- لا أفعل ذلك ... كنت من قبل أفعل حين تستكثرون على الراحة في « القايلة »<sup>(١)</sup> .
- كيف ؟
- صداعها البغيض .... يأتيها في ذلك الوقت
- وما دخلك أنت بصداعها ؟
- أنا الطيب .. أجلس على رأسها ساعة .. قل ساعتين .. هي تنام .. وتحلم وأنا متصلة أنتظر لحظة الإفراج
- ها .. ها .. وهل جلوسك على رأسها يخفف الصداع ؟
- لا أدري ! لكنني قررت آخر مرة أن أنهي صداعها
- كيف ؟
- « ضربت » على رأسها ، فهبت مذعورة ... قرصتني في فخذي .. ها انظر ..
- كنا قد وصلنا إلى الدهليز ... ووارينا الباب حين رفعت ثوبي المشجر . فبان فخذي الأسمر الناعم .. وأنت تبخلق .. وتقترب .. تتحسس مكان القرصة وتضغط عليه
- آه ..
- هل آلتك ..
- ارخيت ثوبي .. وارنحت كفك المرتعشة
- أسرع .. زوجة أخى تنتظر
- وأسقطت الملمص بقوة .. فصرخ صرخة غريق . والماء يتناثر على وجهينا ثم

---

(١) القايلة .

هوى إلى الأسفل .. يلك تحرك الحبل .. ويدى نعاثت جديلتى المنحدرتين إلى  
الإمام كحبلين أسمرين ... صوتها فى الداخل  
- الماء يا نوره ... « حسي الله عليك » .  
وأنا أحتك :  
- أسرع .. ستدبحنى اليوم  
ذراعك تدور .. ودوامة الماء تدور ! ووجهى فى الدوامة يدور ... وتصرخ  
هاتفاً .  
- لقد صدته الملعون .. ابن الملعون .  
وخرج الدلو بارداً .. كوجهى .

\* \* \*

والليل بارد ... ثلجى .. ليل ظالم ... اب لا يحمل للأبناء الآ القسوة  
والفراش الحزين .. الذى لم يدفأ منذ الليلة الأولى .. والذل .. والوحدة وأوراق  
الأمل المعرشة فى الداخل وقد جفت واصطبغت بلون المرض . وأنا ابنة الليل  
الجامثم على صدرى جثوم الجبال على أطراف السهول ... أنتظر .. وأنتظر أن  
تأتى .. والوقت ثقيل لا أقوى على حمله

\* \* \*

- أنا سأحمل سطل الماء .. إنه ثقيل ..  
- أنا أحمله كل يوم ..  
- « ميخالف » سأحمله اليوم عنك .  
- وإن رأيتك « الذيبة » ؟  
- لا عليك .. سأصل به حتى باب المسبح .  
وابتسمت .... ابتسمنا ..

سرنا حتى باب المسبح .

طرقت النافذة الواطئة :

- الماء يا زوجة أخى .

- هاتيه ... ساعة حتى يأتى الماء ..

وانحدرت الدرجات الثلاث إلى حيث تجلس .. وأنت أيها الملعون .. توسع  
من فتحة « الدريشة الصغيرة » وتسرق بعينيك تنفأ من جسدها العارى . ونسمة

المواء غريبة .. دخلت من الفتحة ! أحست زوجة أخى بقشعريرتها ... ففتحت  
عينها .. وإذا بوجهك أمام وجهها يملأ فتحة الدريشة وصرخت . فاستيقظت

الجدران ! والصراصير ! والزمن !

- أنت يا كلب !!

والزمن سريع ! وخطوة الخوف أسرع ! وأنا !! كنتُ فى غيبوبة ولا

شك ! وإلا ! كيف حدث كل هذا ؟؟

- أنت يا سعود ؟ لماذا فعلت ؟؟؟

- ستفضحنى يا نورة ! وسيدبحننى أبى ... ولن نتزوج !!!

- ولكنها !!

- ماتت ! ماتت !

واللمص فى يدك ! يتدل ملطخا بالدم ! ونتف من اللحم الأبيض ..

وهى فى أرض المسبح ممددة كالسمكة ..

- أخرج ...

- وهذا ..

- خذه معك ....

لكنك ارتجفت ... فوقع على صدرها ...

وأنت ! سعة نهزها الريح ! وتناثر الكلمات مختلطة ... تتباعد ..  
وتتقارب .. تعلقو .. وتهبط ... لتكون المبررات .... وتخلق الحكاية :  
- سأخرج .... وأنت اصرخي بعد خروجي . نادى الجيران ... قولى دخل  
حرامى اول أن يفعل . و ... هى صرخت ... وأنت هناك فى حوش المطبخ هو  
قتلها ... وأنت لم ترى وجهه .. ولا شكله وأنا يا نوره .. لم أقصد .... أنا  
أحبك .. أنت ... وستزوج !! وأنت ... ستسين هذا المشهد . آه ... أديرى  
وجهك للناحية الأخرى ..

- « إذا لم تعجبك رائحتى ... فاستديرى للناحية الأخرى » .  
- انظرى .. وجهك أصفر ... يرتعد ... وأنا كذلك .. وجهى أصفر .  
- « أنظر إلى وجهك لقد امتصك الشراب والسهر ... لقد فقد لون الدم من  
وجهك ؟ »

- والدماء يا نورة ! اغسلى الدم أنت ! وأنا سأغتسل فى بيتنا .. و ...  
سأتزوجك .. أبى يحبك ويتمنأك كثة له ... وأنا سأحميك .. ستكونين بحضنى  
آمنة ... وسعيدة ... أنا سأخرج : حين أصفق الباب ورائى وأبتعد ...  
اصرخى .... اصرخى ... اصرخى ...

\* \* \*

- آه !  
- هذا أنت يا سعود .. أخيراً جئت .  
ونظرتك نظرة قط فى نزع الأخير ...  
ورائحتك رائحة دم يختلط ببقايا لحم أبيض .. وأنا أرتعد :  
- نم الآن .. أنت تعب .  
لكن لونا أحمر يتناثر من عينيك .. يشمل وجهى ، يحرقه ... ولهاثك

المسحور . وأنفاسك الكريهة . ولعابك المختلط بطعم المشروب ...  
وفجيتك ... وجنونك ..  
- وجهك هذا ...

وتتحسسه تحتويه ... تود لو تفعل ... وتعوضني سنوات القهر ، والذل  
لكن بيني ... وبينك جدارا ، جرحاً عميقاً شق رأسها نصفين .. تود لو تنساه  
لكنك تراه في وجهي وحاجبي . جرحين أسودين يحولان الرغبة إلى كره  
وامتناع !

تمتد كفاك .. تتفارق أصابعها .. تتدافى .. تتصلب في وجهي :

- لو يموت وجهك هذا ...

أنتشل نفسي من الفراش الذي توالدت فيه حمم .

- أنت مجنون

- وجهها .. أتذكرينه؟؟

- لقد نسيته ... نسيته !

- لا . هي هنا ... معنا ... في فراشنا منذ الليلة الأولى . وأنت .... الحب  
الذي عاش معي سنوات الطفولة .. تتحولين سيقاً يشق ذاكرتي كل ليلة ...  
والخوف لا يزال راقداً هنا .. في حنجرتي فأسقيه الخمر ليخدر ... أنت  
تعلمين ... وغيرك لا يعلم .

- لكنني لن أبوح بسرّك ..

- البوح هنا ... في عينيك ! بوح رابض ينتهز كل فرصة ليتشعب هنا ....  
يؤكد الحقيقة .... يفصحني كل ليلة ... و... تنهار على الفراش ! وتخرج  
الكلمات :

- ماء .. أريد ماء ....



والماء أتاها ... وعيناك ... والملمص !  
ويدي على رأسك الغائب عن وعيه ... وجسدك غلاف رخو يعلن عن  
داخلك المنهار .... وأنا أنتظر ... دلواً .... في قاع البركة الآسنة !  
وحين يصدق الفجر ... أتحسس رأسي خشية أن تكون في الليلة الماضية قد  
أتيت وفي يدك ملمص !

## حين تبكى المدن

أختى هى التى شاهدت ذلك المنظر... لكن الصورة المرعبة التى ارتسمت فى عينها كالوشم الأبدى انتقلت إلى مخيلتى لتتحفر فيها كما تحفر « حبة بغداد » أثرها فى الوجوه الناعمة .

كانت طفلة ... ترتقى درجات السلم المؤدى إلى السطح كل يوم ... حيث غرفة ألعابها .. لكنها فى ذلك اليوم صعدت وقت القيلولة ، وأبى هناك ينام فى غرفته المطلة شبائيكها على المطار القديم .

يومها انحدرت أختى كما تنحدر كرة مقذوفة بأقدام الصبية .. هلع أصفر يبرق فى عينها وكل عضو فى جسدها ينتفض كأنها القنفذ فى لحظة الخطر !  
تعثرت الكلمات بين شفتيها ولسانها يرتجف بها ويطل من بين شفتيها الصغيرتين المضمومتين دائماً كأنها تزفران الهواء إلى أعلى ...

الصورة تنتقل من عثرتها بفم أختى إلى سمى إلى ذهنى الصافى الذى يقبل الألوان وتنطبع فيه بسهولة :

- « أم قاسم عارية فى حجرة أبى ... وأبى يلعب بصدرها .. يرضع ! »  
تخيلت أم قاسم بجثتها القصيرة البيضاء .... ووجهها المربع ، وفها الذى يشبه رقم الثمانية ... حين تضحك وتمد لسانها العريض فتبدو طواحينها العليا من الجانبين ، والسفلى وقد اكتست بالذهب الغالى .

تخيلتها عارية فى حضن أبى ... بصدرها الوردى المحموم الذى يطل شقّه

الرفيع كمجرى الماء دائماً من فستانا ذى الفتحة الواسعة .. حتى أننى كدت مرة أن الملح حلمتها عندما انحست إلى الأرض تلتقط قبقاها ذا الخرزات الملونة ذات الأشكال الطولية المرصوفة بفن وأناقة . وتحملت أبى طفلاً يشد صدرها .. ويعابه بيد كيد أخى الصغير حين يبحث عن صدر أمى المحروس دائماً خلف توب مستور من صنع يدها وحين تفتح الفستان وتغلف بصدرها إليه تتلاعب قدماه الصغيرتان ويداه الناعمتان .. ويمد لسانه يلحس حلمتها ، وأسمع صوت امتصاص الحليب يجري من نهر أمى إلى ثغره ثم يترك الصدر ليتنفس بعمق .. فتسيل قطرات من الحليب من حلمة أمى .. أمدّ أصبعى إليها وأبلله ثم ألحسه فتقول مداعبة :

- تشتهى أن تعود رضيعاً يا سالم .

كان عمرى يومها اثنى عشرة سنة . وكانت الطفولة لا تزال جزءاً من أيامى .. وأبى الذى ودع الطفولة منذ زمن يعود إليها .

فى ذلك اليوم ... وغيره من الأيام ، تبقى أمى فى اللوان تخطط الملابس ... وعينى تراقب زندها النحيف يدير الماكينة فأشفق عليها وأرجوها مرة ... وثلاثاً حتى تسمح لى بأن أديرها . بينما تمسك يدها بالقماش وتسحبه باليد الأخرى ... وبين لحظة وأخرى تلتفت إلىّ معاتبة :

- ألن تكف عن تمزيق ملابسك ؟؟

وأهز رأسى ... أكاد أعدها .. لكن عربة حصان جارنا «أبو خلف» التى تسلفها ونقفز منها تشدنى فأسحب وعدى بابتسامة مغرية تثير حنان أمى التى تأمرنى بلطف :

- قم للنوم .. ألا ترى كيف ينام أبوك فى القيلولة ؟

والقيلولة بالنسبة لأبى أمر هام ... لكنها لا تحلوا لافى غرفة السطح حيث

نسمة الهواء الآتية من النوافذ المشرعة .

لكن ! بعدما رأت أختي المشهد . أدركت أن لغرفة السطح فوائد أخرى غير هوائها المنعش . فهناك يخلو أبي .. يبحث عن جسد يمتد على فراشه غير جسد أمي .. وأم قاسم تأتي دائماً في القيلولة باكية ... شاكية لأمي :

- أختي .. الكلب ... الحرامي ... سرق أرضي ... نهب مالى ...

ثم تسأل أمي وكأنها لا تدرى أين مكان أبي :

- « وين أبو سالم الله يعافيك » ؟

وتشير أمي باتجاه السطح لكنها تكون قد وصلته قبل أن تكمل أمي اشارتها ... ساحبة خلفها عباءة سوداء مسدولة عن رأسها وعن جزء من كتفها فيبدو لحمها الأحمر قانياً وصوت سبابها القذر يتقاذف كالنثار :

- ابن « ..... » سرقني القواد ... لن يفيد معه إلا أبو سالم ... فلا بد أن أشكوه !!

والشكوى تتكرر .. يوماً بعد يوم .... وأخوها « القواد » لا يفتأ يسرقها .. وينهب مالها . فتأتي لأبي تشكوه . وأمي تزفر وتنحنى على الماكينة كالقوس وتردد :

- « الشكوى لله .. سالفه أم قاسم ما تخلص » .

كذبة كبيرة ... صدقناها .. واستمرأنا خطوتها داخل بيتنا حتى انفلتت قدما أختي كما تنفلت الخيل من مربطها لتعلن ما شاهدهته .. وتكشف سر أبي الذى لم يكن يسمع شكوى أم قاسم ! بل كان يشمها !

أما أمي ... فقد تبلدت وأصابها ما يشبه الموات فى ساقها فلم تتحرك حتى عندما انفلت أبي خلف أختي وأخذ يمزق جسدها الأسمر الرقيق « بقصمولى »

السعف دونما رحمة .. وكأنه بهذا الجلد البشع سيمحو من ذاكرتها المشهد المروّع .

\* \* \*

ظل المشهد أثراً محفوراً في ذاكرتي ... وظل وجه أم قاسم الخليج يتأوج في عيني كلما عبرت السنين حتى التقيت لأول مرة في « حوطة » الحى « بعلية » ابنتها . فراودتني النفس أن أمازحها وأعاكسها .. فحاطت الهواء من حولها فأنحأ ذراعى الطويلتين . تتحرك إلى اليمين .. فأميل ساداً عليها الطريق .. وتتحرك إلى اليسار فأسبقها ساداً عليها منافذ المربى .

كانت تحمل « بقشة » خضراء فاقمة منشورة عليها وود ذات ألوان بفسجية وصفراء ... سحبتها منها فانتقلت من يدها إلى يدي دون مقاومة وسألتها :  
- لمن هذه الأغراض ؟؟

ولم أنتظر إجابتها .. سارعت يدي نخل عقدة طرفي البقشة المتقابلين .. ثم حلت عقدة الطرفين الآخرين فتبعثرت الأشياء أمامي .

ديرم<sup>(١)</sup> ومشط من الخشب العريض .. دهن أخضر في زجاجة رسمت عليها زهرة حمراء .. أشم رائحته دائماً في رأس أمي بعد كل حمام .. حناء .. وليفة حمام ... ونعل جلدى .. صرة فيها شيء ناعم كالتراب لكنه لم يكن كذلك حين انهمر بعض منه في كفي ... قنينة عطر على هيئة ثلاثة قروود .. صمّ الأول أذنيه والثاني يغلق فمه .. أما الثالث فقد حجب عينيه بكف يده .

قربت الزجاجة من أنفي طمعاً بشم رائحة زكية .. لكن شوقي تبدد حين لامس طرف الزجاجة فسألتها :

- ماهذا ؟؟

(١) أعواد خشبية تلتزم الشمام - للسم -

- قالت مرتجفة ولعابها يلمع على شفتها السفلى :
- كولونيا ...
- قربت الزجاجة ثانية ... تصنعت العنف وصرخت في وجهها :
- لا تكذبي ! هذا ليس كولونيا ..
- انحدرت دموعها فجأة حين رأتني أفتح الزجاجة ثم أصب ما فيها على الأرض ... وتوسلت :
- أرجوك .. لا تفعل .. سوف تذيبني أمي لو عرفت :
- هدأتها :
- ما هذا ... - مشيراً للزجاجة - أخبريني ما هذا ولن أخبر أحداً .
- هوت بحسدها إلى الأرض تلم البقشة ، وتمنيت لو ألح شق صدرها كما لحق شق أمها من قبل ، لكن الصدر كان مستورا كصدر أمي .
- هست بصوت اعتراه كثير من الخجل ودون أن تنظر إلى :
- هذا بول ...
- شهقت :
- . بول؟؟ بولٌ مَنْ؟؟
- رفعت عينين جميلتين .. ثم عادت ونكستها ثانية :
- بول أمي !!
- دهشتي تابعت بالسؤال :
- بول أملك ! في زجاجة ! وتقولين كولونيا ...
- قبل أن تنطق لحق كيس الحناء الرخو وهي تحمله في يدها لتضعه في البقشة
- فهزئت منها :
- وهذا ... ما هذا ... « براز » أملك ؟

- زمت شفقتها بقرف .... ولم تجب .
- وقفت .. فاقتربت منها وخجلت من نفسى ... لامست كفى كتفها ..
- فارتعشت .. عفرت على زندها أسأها :
- حسن ... ولم تبول أمك فى الزجاجة ؟
- ورفعت الزجاجة التى فرغت أمام عينيها وأنا أكمل :
- وزجاجة كهذه بالذات ... لا تسمع .. ولا ترى .. ولا تتكلم ..
- ابتسمت ... ثم تداركت وكشّرت فسألتها :
- لمن هذه الزجاجة ؟؟
- فرحت يسؤال لأنه ضيع السؤال الذى سبقه وقالت متعجلة :
- هى وبقيّة الأغراض لصديقة أمى هناك ..
- وأشارت .. تابعت إشارتها فإذا بها تدل على بيت جار لنا ، فسألتها لأننا كد
- من قولها :
- هناك .. ذلك البيت الأصفر ؟؟
- هزت رأسها مؤكدة :
- نعم .. نعم ... هو ..
- وعاد إليها سؤالى الذى حسبته ضاع .. ولكن بشكل آخر :
- ولكن لماذا ؟ هل يتعطر جيراننا ببول أمك ؟؟
- هذه المرة لم نستطع أن تكتم ضحككتها فانطلقت كتغريد عصفور ... وصدق
- صوتها ببراءة :
- أمى تعمل السحر لبيت جيرانكم .. ولكل من يطلب منها : تبول فى
- الزجاجات وتوهم النساء أن هذا دهان .. إذا دهنت الواحدة منهن ملابس
- زوجها فإن عينيّه لا تشغلان بامرأة سواها .. ولا يسمع لكلام الناس عنها ..

ولا يتفوه على زوجته بكلمة تخرج متاعرها .  
- لكنه بول .. وليس دهانا ..  
- هذا صحيح .. لكن النساء لا تعلمن ذلك .. بل تحسبهن علاجاً سحرياً لأسر  
الأزواج .

وانتهت أنها فضحت أمراً ما كان يجب أن تنطق به ، فسحبت الزجاجة من  
بين أصابعي .. وهى تتأفف بحزن :  
- أف ! ها أنت سكبت ما فيه ... فإذا أفعل؟؟

واندفعت الفكرة إلى رأسى .. وتالت ... وامتدت حتى ملأت كل  
جسدى .. فسحبته من يدها .. جررتها إلى « ربة » الحوطة .. وجبستها خلف  
برميل عريض صدى ... سحبته الزجاجة التى لاتزال فى يدها .. ورفعت  
ملابسى . نزعته لباسى .. وقربت فوهة الزجاجة ! وأخذت أبول فيها وهى  
جامدة تخدعها المفاجأة وارتعاش يهز رموشها تحاول فيه أن تمنع نفسها من النظر  
فلا تقوى ...

كلمتها :  
- لا تخافى ! سأملأ لك الزجاجة .

امتد ارتعاش رموشها إلى الجسد .. حين فرغت لمخنها تتكوم على نفسها .  
وتضعط على صدرها بين ذراعيها ... فحرثت الشهوة فى عقلى .. وشد الماضى  
لجامه ... يحول بى مسرعاً إلى صدر أمها الذى رآته أختى فى فم أبى ... وفى  
أعماقى ... صرخ الصوت :

افعل .. افعل .. ما فعله أبوك بأمها .. اخدعها كما خدعت أبها أمك  
الغافلة واسفع الدم كما سفعه أبوك من جسد أختك التى شهدت الخيانة !  
اقتربت منها .. عاصفاً كالريح .. تملؤنى رغبة الشهوة ورغبة الانتقام ..



رمى بالزجاجة .. ثم رميت بجسدى فوقها لأصب النار على الجسد الذى تحوّل  
فجأة إلى رغيف ساخن تفوح منه رائحة التّور .  
واندفع نشيج كموسيقى الحشرة السجينة فى زجاجة .. ورفعت وجهاً ساحراً  
.. تحت طبقة من الماء تلمع كالزجاج فى عينيها ... وخلف الزجاج كانت مدن  
عينها تبكى ... وشوارعها تسترحم ... ويوتها الآمنة تطلب الأمان ... وشفتاها  
المرتجفتان تهمسان ... فتشق الهمسة صدرى الملتهب .. وتطفى النار ... تخمدتها  
فجأة ... حين تنهذى الهمسة :  
- أرجوك .. أنا لست أُمى !

انتفضت عنها كما ينتفض الحصان حين تهدر الصرخة من حوله .. وأسلمت  
ساقىّ للريح خارجاً من باب الحوطة .

\* \* \*

لم تراودنى مطلقاً بعد ذلك فكرة الزواج منها ... فن يدرى ... قد تكون  
هى الأخرى نطفة أبى التى انزعت فى رحم أم قاسم .

## الإشاعة

في تلك الليلة فقط ... تغيّر كل شيء .  
عصف عاصف الحوف .. فزّق خيوط الألفة الرحيّة ، وانبلجت أسان  
الرب تهرس رغبتنا كلما فكرنا بجمع الشمل في مكاننا المعهود الذي شهد نماء  
الحب وصفاء الأمسيات .

\* \* \*

كنا نعود ملتحمين .. نغني بأصواتنا الجاعية التي يرقص لها ضوء المساء ...  
وتتطاير حولها النسائم حاملة الصدى الأليف .. لكن « شهابو » برز فجأة  
بدشداشته القصيرة الممزقة دائماً ، فقطع على أقدامنا الحافية سيرها الوثيد  
بخلق بعينه كما يفعل دائماً .. ولعابه اللزج ينحدر إلى صدره الذي تعرّى ..  
وصرخ :

– « إياكم أن تأتوا هنا ثانية » .  
ماذا؟؟ انتقلت نظراتنا ... والتقت سريعاً .. وقبل أن ينطق أحدها  
باعتراض صاح بصوت خائف متهلّج :  
– هناك .. في تلك « الربعة » يسكن جنّي !!  
تصادمت نظراتنا السريعة ... نظرات شك ، لكنه أردف حين شعر  
بشكوكنا :

— لقد رأيته بعيني .. وحين أطلقت عليه كلبى تجمد الكلب هناك .. انظروا ..  
 والتفتنا .. إلى الربعة التى شهدت كل شىء ....  
 فإذا الكلب ملق .. وقد تدلى لسانه منحسراً بين فكّين مبلّين .  
 دفعنا به ... ونما الشوك فجأة تحت الأقدام العارية الطرية .. فأطلقنا  
 السيقان .. أجنحة فراشيّة تبحث عن الفراغ لتطير .. حتى إذا وجدت الزهرة  
 المتفتضة على غصنها هجعت بارتياح .. وكانت بيوتنا الزهرة التى قصدناها  
 لا نلوى على شىء .

\* \* \*

وهجرنا « الحوطة » ..  
 هجرنا الأحياء الضيقة بعد أن كنا كل ليلة نعبطرقها الأليفة .. وتتمشى بين  
 البيوت الطينية الواطئة .. نشتم روائح الأبقار والأغنام المربوطة فى أحواشها  
 وتحت « عرشانها » . ونستمع لكأكاة الدجاج والأفراخ فى دهاليزها ذات  
 الأبواب الخشبية الشاححة بأصالتها ... الخالية من الأقفال والحديد .. إلا من  
 « مقعحام خشبي » تمتد فى آخر الليل يد الرجال لتغلقه .. وتحمد الله .  
 وكانت عيوننا تتابع الهررة المتحابية على الأسوار الندية التى تلوح فى شقوقها  
 بقايا الشعر الإنسانى أو كسر الخبز الجاف التى امتدت أبداً المارة إليه لترفع من  
 شأنهم السماء .  
 نمشى ... واعتياد أليف صادق يشدنا كالحزمة القوية ... حتى نصل إلى مقر  
 هونا .. وأنسنا .. إلى الحوطة التى تشهد كل ليلة أنواع لعبنا ... وبراءتنا .. فكنا  
 نتقاذف بالحصى .. ونغطس فى ماء المطر المتجمع فى الحفر .. ونلدك الأرض  
 برجل واحدة ... نتسابق .. والذى يصل إلى الربعة يفوز بالجائزة ...  
 — ماذا نلعب الليلة ؟؟

وقبل أن تنفق يكون « شهابو » قد مرّ بصراخه وعبثه وأكوام اللعب الفارغة  
 التي يربطها بالخيوط ويحلى بها رقبتها ... وساقيه .. ورأسه فيصرخ :  
 - لاعبوني معكم .. « أنا المجنون ... آكلكم » .  
 لكن أصواتنا الراضة تسد في وجهه باب المشاركة ونلحقه بالعصى ..  
 والحصى .. فيهرب فاراً بينما نعود متضاحكين ... متسائلين :  
 - ماذا نلعب الليلة ؟؟  
 - اللقصة <sup>(١)</sup> .  
 - اللّيدة <sup>(٢)</sup> .  
 - لا .. نلعب « عماكور طاح في التنور <sup>(٣)</sup> » .  
 وأخيراً يقترح صوت :  
 - نلعب « إحديّة أبدية <sup>(١)</sup> » .

فوافق ...

تتحلق بدائرة ... فتمتد أكف البنات المحنّاة جنباً إلى جنب مع أكف  
 الصبيان التي شققها البحث عن « القبّابي <sup>(٢)</sup> » تحت « سيسان <sup>(٣)</sup> » البيوت  
 والشوارع .  
 نرص الأكف وننحني حتى تكاد رؤوسنا المتقاربة تصطدم . وتدفع قماشة  
 بسبابنها الطويلة داخل فها ... تخوضها فيه تقفز بها من كف إلى الآخر بحركة  
 دائرية وهي تغني بصوتها المبحوح بينما تغني شفاهاً بصمت كلمات الأغنية :  
 « إحديّة أبدية .. ناصر دية .. حط الكور على الزنبور يا قناص .. قوم

(١) اللقصة .. الليدة .. عماكور طاح في التنور .. إحديّة أبدية : كلها ألعاب شعبية كويتية .

(٢) القبّابي : دود الأرض .

(٣) سيسان . أساس البيت تحت الجدران

إنقص .. شبط خيلك شبطها .. باب الحلة وباب الشام .. مریت على غرابین ... يأكلون سحین . قلت یا عمی یا بو حسین ... کم يوم على رمضان .. سبعة أيام والتمام .. وحاديها .. وباديها .. واضرب الخيل معاديها .. خرجة برجة طاحت بلماى قالت تش .

وتنتهى الأغنية .. وتكون السبابة قد استقرت مع نهايتها على آخر كف .. وتبدأ المساومة :

- « تريد قرصة الحية .. أو العقرب ؟ »  
والعقارب فى الليالى الحارة لا تتركنا .. عدو يترصد أقدامنا الحافية .. ويفرغ سمه الأخضر فيها . ويفرق الجمع الأليف  
« وشهابو » عقرب آخر . يثير الضجر والرعب أحياناً عندما يجتنبى فى الزوايا .. أو الأحياء المظلمة ويصرخ فى وجوهنا فجأة .. ويسعد حين يهز الأمان المستقر فى نفوسنا .. وكان اهتزازاً مارقاً كالبرق لا يترك أثره .. ولا يحرمنا من اللقيا رغم إصراره على تكرار فعله .

\* \* \*

أما فى تلك الليلة . فقد تغير كل شىء .. وحملت النفوس الصغيرة برعبها حملاً ثقيلاً .

سكننا الخوف .. نفبتى فى صفوفنا كما يتفتش السل فى الرثة السليمة .. فرضت ليالينا الهادرة التى لم تعتد السكون الرتيب .. وعشنا فى انكسارنا نجتر الذكرى .. ونختصر اللقيا على النهار .. حتى يذبل قرص الشمس .. ويفوح لونه الوردى معلناً بداية ظلام الأمسيات .. تتوابع .. كل إلى بيته ... تسكن ونفكر .. « بالجنى » الذى سكن « حوطتنا » فكدر ليالينا وانتزع أماننا كما تنتزع جذور السدره من أرضها . وتساءلت عيون الأهل والسنثم .. وخشيت فرقة

الصغار .. ربما هو الشجار الذى سرعان ما يذوب فى إناء طفولتهم ... لكنه قد يمتد فيصل الكبار الذين قضوا سنواتهم أهلاً .. وأحباء ... يحسون الفرقه والكدر لكننا لم نجرؤ : وكأن « شهابو » قد زرع موسى حادة فى حلقنا نخشى لو حاولنا البوح أن نذبح أعتاقنا .. ولكن : إلى متى؟؟ والشوق لدفع الليالى وأنسها ينغل كالغزل الجائع فى صدورنا .

- إلى متى؟؟

نطقها مسعود ..

وانفجرت الأسارير .. تلك هى المرة الأولى التى يصدر فيها السؤال إلى الجماعة ..

إذن .. لابد من الحوار الحازم .. والوصول إلى قرار ...

- لماذا صدقنا شهابو؟؟

سأل خالد .. وأجاب قماشه :

- ربما كان يكذب ...

وانبرى محمد .. صديقنا السمين .. وتلته أصوات :

- إنه يكرهنا ..

- لأننا لا نلاعبه معنا ..

- لأننا نسخر منه ..

وأطلق فهد عبارته :

- ما رأيكم؟؟

وبشفغ الغريق إلى قشة صحننا بصوت واحد :

- رأينا فى ماذا؟؟

قال والإصرار مرتسم على أنحاء الوجه الأسمر :

- نَجْرِبُ الرِّبْعَةَ !!

ودفعنا الهلع الذى احتكرنا دفعة واحدة ... فهيينا واقفين تتداخل أصواتنا المرتجفة :

- لا .. نخاف .. الجنى .. الموت ... لا ...

لكنه رفع ذراعيه مهدتاً فبانت قرحته الجافة :

- أنا مستعد أن أجرب .. فقط ساعدونى ... هل توافقون؟؟

جالت عيناه تبحثان عن إجابة .. لكننا جميعاً كنا ملجمين فكرر قوله .. وأكد أنه مستعد لهذه المغامرة من أجل أن تعود ليالينا مشرقة فوعدناه ... وعدناه أن نأتى فى الليل إلى الحوطة ... لكننا أخلفنا . كان الخوف واحداً يترصد بنا .. لكنه اليوم أصبح توأماً ثانية الخوف على صديقنا فهد من الموت . ورغم سنواته القليلة . كان فهد شجاعاً بإصراره وعنده .. وحلمه أن تعود الليالى الفارة إلى مأواها . أخذ يتوسل .. لكن التوسل إلينا كقطرة الماء التى تصب فى يوم قاتظ على الرمل ..

وبكى مرتين .. لكنه لم يلق شقيقاً ولا نصيراً .. بل تضاحكنا نهزاً من دموع الرجال !!

وأخيراً هددنا بالانفصال عن الجماعة .. فخشيت القلوب انتزاع شريان من شرايينها .  
واقفنا .

\* \* \*

اصطففنا عند باب الحوطة .. أجسادنا المتلاصقة لحماً وعظماً .. يُعلن صوت ارتجافها مدى الهلع الساكن فى كل شعرة ..  
و .. بدأ فهد يتعد .. وعيوننا تتسيعه دامة مبهلة .. حتى اقترب من

الربعة .. وكانت أرواحنا قد وصلت حلوقنا .

وصل ..

فاستدار فحونا ... وصار ظهوره ذو العظام البارزة ناحية الربعة .  
وقف شجاعاً .. يرفع كلتا ذراعيه إلى جانبيه وبدأ يعود إلى الوراء .. إلى

الوراء .. إلى الوراء .. إلى الـ ...

ودوت الصرخة ... !!

وأحدث الدوى انفجاره ... قطارت السيقان تقلع التراب من مكانه . .  
لامبالية بالأحجار والمسامير وقطع الزجاج المتناثر .

وتفتحت أبواب البيوت بعنف ... وانصفت بالحجارة : ولم تهدأ  
الأجساد .. ولا العيون .. عرفت الكرى بانتظار الصباح .

\* \* \*

صاحت الديكة !

فتوقعنا صرخة تشق عباب الصمت الحرون لدى أزمنا .. أين الصرخة التي

ستعلن نبأ موت رفيقنا ؟!

ومتى تسحب الأمهات عباة اتن السوداء التي غزاها الاخضرار .. وينهمرن  
على بيت أم فهد انهيار السيل نائحات مواسيات ؟؟ ومتى تخف أقدام الرجال  
بنعائها النجدية لتتحلق حول تحت الغسول يشارك بعضها « الغسال » في لف  
الكفن وتعطير الجسد الصغير بدهن العود وماء الورد ؟!

\* \* \*

الصمت .. ولا شيء سواه ..

بدأ تناغم الأصوات التدريجي .. صوت الأحياء تنفس بعد أن أعلنت  
أصوات الديكة عن انبلاج الصباح ..



لا شيء يثار : ولا حزن يعلن ..  
واجتمعنا .. تحذونا رغبة ملحاحة لمعرفة مصير رفيقنا فهد ... تهامسنا ..  
وقررنا أن نذهب إلى بيت فهد ... نسأل عنه .. فإن وجدناه اطمأنت  
النفوس ... وإن لم يجده سنصارح أمه بالخبر المشئوم ... ولن ننسى أن نعلن خبر  
« جتنى الربعة » .

\* \* \*

ما أن فتحت أم فهد الباب .. وانشق انشقاقة نصفية حتى لحنا فهدا مستلقيا  
في حوش البيت على فراشه .. وقدمه اليسرى مربوطة بخرقه حمراء منقطة ...  
دلفنا ... وحين تأكد من اكتمال عددنا صاح في وجوهنا :  
- أيها الجبناء .. لقد هربتم في اللحظة التي كنت فيها بحاجة لمساعدتكم ..  
تلعثمنا .. وتقدمنا نحوه مسرعين تتسائل :

- هل خرج الجحى ؟

- هل لمحتة ؟؟

- هل ..

وانزلقت عيوننا إلى قدمه المربوطة :

- هل قطع قدمك ؟

- هل .. وهل ...

الشيء الكثير من السؤال .. وأم فهد ترقب المشهد باسمه آمنة ..

- اجلسوا يا رفاق ..

تهاوينا على فراشه الذي بالله ندى الصباح ..

ابتسم لنا ...

- اسمعوا .. لقد كانت إشاعة أطلقها شهابواجنون .. وتعرفون بالطبع قصده .

ليس هناك من جئى .. ولا من يحزنون .. لقد كانت صرختى صرخة ألم  
واستنجد .. زجاجة مكسورة انغrust فى قاع قدمى .. وكنت بحاجة لكم ..  
لكنكم هرتم ..

قاطعته مسباح بتوسل من يطلب العفو :

- ظننا الـ ...

- أدرى .. أدرى ...

وضحك حتى استلقى فبان فى ساقه قرحة أخرى .

## الطاسة

سلمت أمى لجدى الطاسة المعدنية :  
- تفضلى هذه طاسة الحناء ... عجته البارحة .  
وسألت جدى :  
- والسدر<sup>(١)</sup> ؟؟  
وردت أمى باقتضاب وهى تتوجه إلى زاوية الغرفة :  
- سأحنى البنات اليوم .  
انحنت على صندوقها « المبيت »<sup>(٢)</sup> وفتحته .. ففاحت منه رائحة بخور  
مكتوم ، وروائح « دهن العود والورد » التى تستعملها أيام الأعياد ... وتذكر  
بليالى الأعراس .  
يد حانية رفعت بعض الأشياء الراقدة فى الصندوق .. وسحبت الطاسة  
الصغيرة .. ثم عادت وسوّت وجه المحتويات بخنان زائد ... بينا تنهيدة عميقة  
مليئة بالشوق تصدر عنها وتعلن عن شيء مخنوق فى داخلها .  
وحين لمحت جدى الطاسة الصغيرة زفرت :

---

(١) السدر : نبات مثل الحناء ويستخدمه بدن الصابون

(٢) صندوق مبيت : نوع من الصناديق الخشبية الضخمة يستخدم للملابس المرأة .

- أف لهذا الوسواس الخناس .. أنا لا أدري لماذا تحملين « طاسة الذهب »  
معك كلما خرجت !

وترد أمى :

- هى كل ما نملك فى هذا العمر ... لأنها مهرى ...  
وتلين لهجة جلتى :

- يا ابنتى .. كلنا نملك مثل مهرى .. فلماذا لا نحمله أينما ذهبنا ؟؟  
وتقذف أمى جوابها المختصر :

- الحرص واجب يا أمى ..  
فتؤكد لها جلتى :

- لو تركت باب بيتك مفتوحاً ... لما امتدت يد لشيء فيه .  
وتصمت برهة بانتظار كلمة من أمى .. وحين لم تسمعها تلك أكملت :  
- الدنيا أمان ... فى السوق يتركون مالهم ... وحليهم .. ويذهبون للصلاة ....  
وأنت ! خائفة على طاستك !

عدلت أمى من وضع عباءتها الخفيفة فوق رأسها وهى تقول  
- لو ضاعت فسيلومنى أبو البنات حين يعود .

لم يعجب جلتى الرد ... قلبت سحتها وسخرت من أمى  
- الجنون ... فتون ...

دست أمى الطاسة الصغيرة تحت ذراعها الأيسر ... وفتحت الباب .

\* \* \*

لاح وجه البحر الأزرق لامعاً ... ضاحكاً .. تدفع أمواجه زبداً أبيض  
تلتهم عليه أشعة الشمس فيبدو كخطوط من الفضة المصقولة ... وهب نسيمه  
الربط ذو الرائحة التى لا تخطئ أصلها ... يدخل إلى الرثين لطيفاً فيبعث فى

الأوصال برودة تلطف الجسد وتخفف من حرارته . وانحدرنا عبر الشارع الضيق نحو « اليال<sup>(١)</sup> » الذى بدا صافياً ... لامعة رماله ... مرتاحة حجارتها و « زبايطه » التى تستحم بالماء ثم تجف .

كان مرورنا فى الشارع الضيق ... عبر البيوت الطينية ذات الأبواب الخشبية المواربة فى الغالب ... ومن أحد البيوت يتسرب حوار رجل وامرأة ! وفى آخر يعلو حوار بقرة ... وبعض أصوات الدبوك ... وتفوح من كل البيوت روائح طهى اللحم ... أو السمك ممتزجة برائحة الجو الرطب والتراب المبلل بنداوة تنبت أيام الصيف .

مررنا بيت « أبو صالح » مدت أمى ذراعها ... وطرقت بابه ... فالتفتت إليها جدتى :

— لماذا تطرقين أبواب الناس؟؟

بلا اهتمام بغضب جدتى ... قالت أمى :

— اتفقت مع أم صالح أن أطرق بابها لتلحق بنا . لديها بعض الثياب للغسل . اقتنعت جدتى ... وواصلنا .

استمر انحدارنا ... البحر حلم أزرق يمتد .. أمى ونحن خلفها كالبطاط البيض ... تتقدمنا جدتى حاملة فوق رأسها « بقشة » الثياب ، وبعض الحاجيات اللازمة لحمام البحر ، وتحت ذراعها الأيسر تدفن طاسة الحناء . كانت جدتى قصيرة القامة ... ممتلئة .. لها وجه مربع عريض ينتهى من الجانبين بزواويتين ... قائمتين .... يلتقى ضلعاهما فى استدارة الذقن المائل دائماً للاحمرار .. يزداد احتقاناً حين تثور ! أو تضحك ! أو تعطس .

---

(١) اليال : ساحل البحر

كانت جدة طيبة ... حنوناً .... تفرحنا زياراتها القليلة التي تحمل هداياها  
من الرمان .... « والكثار »<sup>(١)</sup> وحلاوة الديك . كما كانت تحمل الأمان معها  
فأُمى التي تتورم رموسنا الصغيرة من ضرباتها . تمتنع عن فعل ذلك في وجود  
جلى ، فقد لقننا ذات يوم درساً حين دخلت ورأنا ترصّ رأس أنحنى بالحائط  
فتدببه . سحبت حلقى عصا أبى الغليظة المعلقة على الحائط نفسه وانهالت بها  
على أمى ... وهى ترغى ... وتزيد :

- غياب زوجك يجعلك تقسين على الصغيرات .... فذوق مايدفن .  
يومها أعلنت أمى التوبة ... لكنها توبة مؤقتة ... ثم أصبحت جزئية ..  
بحضور جلى فقط ... وكانت تتوعدنا قبل زيارتها لنا :  
- إياكم أن تقولوا لجدتكم إننى ضربتكم ... وإلا فسوف أذبحكم حين تخرج .  
وكنا لا نفعل ... فجلى تحمينا مرة ، ولا تفعل فى عشرات المرات التى لا  
تزورنا فيها ... لكن عتابها لأُمى لا ينقطع فى كل زيارة :  
- ما بالك هكذا .. عصبية على الصغيرات ؟؟

وتبكى أمى :

- شقاء فى الليل ، وفى النهار .  
- أنا أكره بيتك من هذه الشكوى المتواصلة ، كأن أحداً غيرك لا يفارقه  
صاحب بيته .

ومسحت أمى دمعها :

- تمر الأيام على طويلا يا أمى .  
- وعليهم ؟؟

---

(١) الكثار : نوع من البات الصغير .

- لم ترد أُمى على السؤال ، فاعتدلت جدى فى جلستها ، ترّعت ... فبدت  
كمربع نبتت له دائرة فى ضلعه الأعلى :
- أنت هنا .. فى بيتك ... ومع بناتك ... ورغم كل المصاعب أنت فى  
أمان ... أمّا هم ! ...  
وتنهدت ...
- فهم بين السماء والبحر .. فضاء كبير قد يتلعمهم فى أية لحظة .  
ماج اضطراب فى وجه أُمى وهمست :
- لو حصل له مكروه ...  
وقاطعتها جدى وهى « تنفل » كمن تطرد شراً :
- تعوّذى من الشيطان ...  
وتعوّذت أُمى بصوت يتر حزناً ... ويحمل مخاوف :
- الحياة صعبة ... تريننى أخاف على طاسة الذهب ... لا قدر الله ... لو  
فقدناه ... لم نجد مانعش منه ..  
وعلا نشيجها ... اقتربت منها جدى وهى تقول :
- حياة بحر ... غوص ... وتعب .  
قالتا .. وسحبت تنهيدة عميقة من صدرها الذى يتر دائماً بالربو ... ثم  
ربت على ظهر أُمى بحنان وهمست :
- ادعى الله أن يعودوا سالمين .

\* \* \*

- وأجبتا حنان جدى . فهو حنان ينبع من كفها التى تحمل الحلوى وحنان من  
صوتها حين تحكى « حزاوها » الطويلة التى تنعش خيالنا .. وتبهج قلوبنا ..  
وتقصر على أُمى لىالى الفراق الصعبة .

وأحيينا كذلك حمام البحر أيام الجمع ... حيث ترافقتنا في رحلة الطريق  
الناعمة ... وفي البحر ... تداعبنا ... تغطسنا في الماء ... ثم تلتطخ رءوسنا  
بالسدر الأخضر ، تفرك به شعورنا .... فترغى رغبة يتطاير زبدها في الهواء  
راقصا على نغمات صوتها وهي تغني أغنيات البحر وتحكي لنا عن جدى الذى  
كان يغيب عنها شهوراً طويلة .. لا تسمع عنه خبراً ... وتظل بانتظار موكب  
البحارة بعد سفر عسير ... غائماً ... أو فاقداً لأحد غاصته ... أو رجالاته .  
كانت الذكريات تلون وجهها العريض بالفرح ، والتذكريات عالية ...  
والجدّة نامت عيناه منذ سنوات طويلة .. وأبى اليوم يرحل ، وأمى تبكى .  
وتضيق ذرعاً بحياتها ، وتخاف على طاسة الذهب التى هى رأس مالها لو تعكر  
صفوح حياتها ... ولهذا تقسو علينا كلما عصفت الخوف بقلبها ... أو وسوس شيطان  
بصدرها فننتظر زيارات الجدة ، وأيام الجمع .. بالشوق ... وباللحفة ..  
وبمرح الصائم بانتظار لحظة الإفطار .. حيث الحلم .. البحر الأزرق .

\* \* \*

هو ذا البحر يعانق العين .. هو ذا الأزرق الذى نستفيق على موسيقاه  
الواهة ... ونراقب من الأسطح سفنه ... وأشرعتها المبحرة مع الرياح ... ونشم  
عبرهوائه زفرالهامور والزبيدى ، ورائحة جدى الذى رحل ... وأبى الذى حمل  
الزوادة ... وودعنا ... ليعود .

\* \* \*

ويرتاح الجسد على الشاطئ ... ترتاح طاسة الحناء التى تلتطخ أمى بها  
رؤوسنا ... فنبدو كالمجول الصغيرة الخارجة للتو من بطون أمهاتها ملوثة



بالدماء ... ومنتظر على الرمل الدافئ .. حتى تشرب شعورنا اللون  
الأرجواني ... نجتمع الأصداف .. والأعشاب المتفخة ، نقفها بأسناننا  
ونبصقها لترتد إلى أمها البحر خائبة خاوية .. بينا أمى وبعض النسوة يفسلن  
الملابس والكتابل الصوفية والحصر ... وزبد البحر الأبيض يتجمع فقاعات  
تصطدم بأيدي النسوة التي تحرك الماء فترتد كارتداد الشفق إلى كبد السماء .

\* \* \*

بدأت أمى بأختي الكبرى ... وحملت أختي الثانية طاسة الذهب .. وحين  
رصفت أمى شعرها بالحناء نحتها جانباً ... محرصة إياها الا تغطس في الماء حتى  
يحف الحناء تماماً ..

ثم سلمت الطاسة الغالية لتحنى أمى شعر أختي الوسطى ... وبين لحظة  
وأخرى ... كانت تلتفت إلى منبهية :

- انتهى ... شدى على الطاسة ... إياك أن تفلت منك ..  
وباتظار أن ينتهى دورى ... عصرت الطاسة إلى صدرى حتى أحسست بها  
تلتحم به .. وخشيت إن سحبها يد أمى أن تسحب عظامى معها ... وتنهدت  
بفرح حين انتهت مهمتى وسحبت أمى الطاسة منى .  
رقدت عليها كما ترقد دجاجتنا على بيضها ، وأخذت تحنى شعرى ...  
مطمئنة .. تغنى بصوت يتلع البحر صدهاء .. وكان يصلنى متقطعاً .. يشد الموج  
البحر نغمة ... وتشد أذننى نغمة . ونغمت تنطلق نحو السماء . ترتفع مع  
الهواء ... ولعل أمى يحملها الشوق إلى أبى الذى يستمع لأغنيات البحر ...  
وصت النهام .

وانتهى دورى ...

وفكت أمى جدائلها السوداء ... شعرها الليلى ينال على كتفها وصدرها

وكانه مل أسره . والتفتت إلى جلدتى :  
 - هل تمسكين بطاسة الذهب حتى أحنى شعرى ؟  
 لكن جلدتى هزت ذراعاً دسماً فى وجه أُمى :  
 - لا .. لا تحملينى مهمة شاقة كهذه ... ظلى راقدة عليها ... فقد تبيض لك  
 ذهباً أكثر .

\* \* \*

موجة ... موجة .... والبحر يرقص ... ونحن نتداعب وتراشق بالماء ...  
 وشعر أُمى الطويل يتحنى بكفها خصلة .. خصلة ... والبحر غدار ..  
 مخادع ... وأُمى سعيدة بشعرها ... والبيض من تحتها دافئ والموج يصفغ  
 الرمل ... والرمل يصرخ ... وتنطلق صرخته .. لتحرك الطاسة المعدنية ...  
 فتخرج من بين مخذيها كخروج الطفل من مخبئه ... وتصرخ أُمى :  
 - الطاسة الطاسة ...

وتنبه العجول الصغيرة .. وتنفض جلدتى ... وأُمى واقفة ينسدل نصف  
 شعرها المحنى على كفها .. بينما يتطاير القسم الآخر فى الهواء ... وتصرخ بصوت  
 تتحدى فيه موج البحر :  
 - الطاسة ! امسكوا الطاسة !

هرعنا مذعورين من عالم الحلم ... والفرح ... صيادين بلا عذرة .. نجاول  
 أن نصطاد السمكة الهاربة ... التى تحمل فى بطنها مهر أُمى .. ورأس مالها ....  
 الماء يرتفع ! يرتفع وجلدى تسحبنا وتصرخ :  
 - ارجعن يا ملعونات : ستفرقن !

وحلم أُمى !!  
 تصرخ أحنى الكبيرة :

— الطاسة يا جدي ....  
فتشد جدي شعرا الخنى .  
— الطاسة بالشيطان ... هل تغرقين !!  
هو ذا ختان الجثة وخوفها على البطات ... بينا أمى مفاجوعة تصرخ :  
— الطاسة . . . الطاسة !  
والطاسة تبتعد فوق الموج .. خيال يهتز فوق صهوة حصان ... وأمى ..  
تصفق وجه الماء ... وتندفع لتسك بها ، وجدي تتبعها متثاقلة ، تسحب شحما  
تشق به الموج الثائر ... ولكن الطاسة أبجرت ... وأبجرت ... مودعة صراخ أمى  
الذى صار نواحاً ...  
عادت .... تضرب صدرها ... تولول ... بينا جدي حزينة الوجه ..  
تعصر « ملفعها<sup>(١)</sup> » الشاش الذى تبلل بالماء وتردد :  
— لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ...

---

(١) الملفع : غطاء رأس المرأة .

## لعبة فى الليل

فى النهار تتلون عيناها الطفلفتان بلون الورد الأحمر كلها تلاقتا مع صورة الأم  
تحضن طفلها إلى صدرها . تلك اللوحة الجبارة بمعانيها التى لم تعرف معنى منها  
أبدًا . تهزها اللوحة التى حفرتها أنامل أختها على الحائط المقابل . ولونتها بالفحم  
الأسود ، وملأتها حنانًا أموميًا هى لا تعرف كيف استطاعت أختها المحرومة أن  
تجسده فى اللوحة ، رغم أنها عانت الحرمان مثلها .

وفى الليل .. تسهد العينان الطفلفتان .. تتلونان بلون الليل الأسود ...  
وجراح النهار الحمراء التى حمل بها صفاء العين .. فيتزف صامتًا حين يهبط  
الجناح الرمادى على الأرض .. فتغفو كل العيون . إلّا عينيها .  
من أين يأتى النوم؟؟ وهنا ... فى كل أوصالها تبدى الرعدة مثل شكة  
الدبوس . الحارق .. والخوف لسان خشن يمتد إلى كل الجسد .. يبلله بالعرق  
وبالدبق

— الآن تأتى .. بعد قليل ستأتى ... متى تأتى؟؟  
هكذا تحدث النفس نفسها .. وتتوقع خطوات زائرة الليل . فربما تزور  
المكان وهى مستيقظة فتراها العين وتصدق !  
كيف تأتى الزائرة؟؟ وكيف تتحرك؟؟ وما الذى تسرقه ؟  
— إنها تسرق الكحل من العين .

إذن : لماذا يبقى الكحل الأسود ملطخاً عيون تلك المرأة - زوجة أبي - ولا تسرقه زائرة الليل؟؟ عيناها تتقرحان .. تشكو السهر .. تتوسل أن ترتاح لكن الخوف يرفض التوسل .. يوقظ الانتباه ... فكيف تنام ؟ تتأوه :

- زوجة أبي تأمرني .. تقول لي : نامي .. تهدّدي بأجنحة الخطر وتقول نامي . فكيف أنام ؟ هل يستطيع من يتوقع الخطر أن ينام ؟؟ فلتأت الزائرة إذن .. ولتحملني إلى دنيا بعيدة مهمة .. فن يدرى .. لعل زوجة أبي تكذب . إنها تكذب على أبي كثيراً .. فما الذي يمنعها من أن تكذب عليّ ؟ وتصور لي الزائرة بتلك الصورة .. وترعيني وهي تقول أنها ستأكلني ... لم لا تكون الزائرة حنوناً وتحب الأطفال .. فتحملني إلى مكان أكثر أماناً . وأعمق حناناً . وأطيب ارضاً ؟ وتحمل معي وجه أختي الحانية ولوحة الأم التي تحمل طفلها محفورة لا تمحوها ضربات الرمن على الجدران ... إلى دنيا لا أرى فيها وجه زوجة أبي الذي تصفغني قسوته طول النهار .. ثم يهدّدي في الليل .. فأنتظر .. وأتوقع .. وأتساءل :

- متى ستأتي؟؟ متى ستأتي؟؟

\* \* \*

السماء صافية لا تزال .. مثل كل ليلة .. والنجوم تترامى بدلال هنا .. وهناك .. عرائس تتشرّك حجابات الماس تتلألأ .. تطمع كلها في نظرة يرسلها القمر المارد الممتد في العلياء .. رجلاً مغروراً .. يهر يريقه كل النجات . فتمنى كل واحدة لو تكون تحت البريق . وعيناها ترقان .. والخوف بداخلها رغم ما تتصوره عن الدنيا التي ستحملها إليها الزائرة .

تلين أطرافها قليلاً .. تحرك ساقها .. ترفع رأسها الصغيرة وتستدير ناحية « غرشة » الماء . فقد فأجأها عطش تكره أن يفاجئها في الليالي المقمرة حيث كل

- شيء يُرى .. وهى تخشى أن تلمحها الزائرة فتخطفها ... تثير حركتها صوتاً ..  
تتحرك أختها الراقدة بسلام قربها :
- لماذا تقومين؟؟  
- أريد قطرة ماء ... حلقى جاف .  
تشير أختها ناحية « الغرشة » :  
- الماء هناك ... قومى واشربى .  
تهز أختها بلطف :  
- قومى معى ... أنا خائفة .  
تتنصب الأخت فى جلسة سريعة فوق فراشها المبلل برطوبة الليل :  
- تخافين؟؟ ممّ؟  
تستغرب سؤال أختها :  
- ممّ .. وتسالين ميمّ وأنت تعرفين؟؟  
يبدو ضجر فى وجه أختها راسمة اللوحة :  
- أعرف ماذا؟؟  
- قالت زوجة أبى إن ...  
بحفّة تجدد كف أختها تغلق فيها الجاف :  
- هُصّ ! لا ترددى هذا .. قلت لك ألف مرة لا تصدق هذا الكلام .  
فى محاولة للتبرير تبعد كف أختها وتؤكد :  
- ولكن !! حمام جارنا وجدوه مقتولاً .  
- قلت لك إن القطة هى التى فعلت ذلك .  
- و ...  
وانبرى صوت أختها محتداً :

- ستقولين وبركة الماء التى جفت ! فأقول لك إن الماء تسرّب فى الرمل ..  
وستقولين عن القدور التى لا نجدها ! فأؤكد لك أن زوجة أبى تعطيها لأهلها من  
أجل أن يحضر أبى غيرها .. و.... ستقولين كثيراً بما تسمعين .. وأقول لك إنه  
هراء .. وأكاذيب .

- ولكن ! الأجنحة ! الصوت الظلال !

- فى الليل تكثر الخفافيش !

- خفافيش ! لكنى ...

تقفز أختها من الفراش بسرعة ومقاطعة :

- لكلك عطشانة .. وسأحضر لك .. ستشرين وتنامين ولن تفكرى بعد فيما  
تقوله هذه المرأة .

تسحب الماء داخل فها من طرف الغرشة .. تجرعه إلى جوفها محدثة صوتاً  
أشبه بالركض على أرض أسمنتية . ثم تنطرح على وسادتها و .. عيناها نحو السماء  
الصفافية .. وكلها يرتعش بانتظار الزائرة .

- « أم السعف والليف » ساحرة .. تأتى فى الليل عيونها لإبر حمراء ... وفيها  
يتسع للآدمى .. فإن رأت طفلة لم تغف عيونها بعد ، فإنها تحملها إلى مكان  
بعيد .. وتأكلها .

تزم عيناها حين تطرق أذنيها كلمات زوجة أبيها تلك .. تنكمش على نفسها  
كقطعة من الصوف وضعت بطريق الخطأ فى ماء بارد .. ترتعش .. وتتساءل :  
- فى الصيف فقط تأتى .. لماذا لا تأتى فى الشتاء حين أكون وأختى فى غرفتنا ؟  
آه يا « أم السعف والليف » لو تعلمين كم سرقت منى الليالى .. فلم أذق طعم  
رقادها ..

والليل المضى بقمرة ونجومه يأتى ويرحل .. وعيناها فتيلاً شمعة لا

تنطفئ .. ومضى انبلج الصبح ككثير طفلة تفرح رغم حزنها .. وتلمح صورة الأم  
المختورة على الحائط تدع وتقترب من الصورة .. تلامسها ببقايا الدموع .  
وتسائل :

- لماذا لا تكونين أمي ؟ وأختبيء في صدرك كهذا الطفل ؟ عصفوة تبحث في  
غابة الشوك عن الأمان ؟ لماذا لا يكون الليل مثلك حياً يحيط يذراعيه كما  
تفعلين لهذا الطفل .. فيحمني من « أم السعف والليف » ؟

وحين تبعد أناملها عن اللوحة يكون الفحم قد لوتها بلون الليل .. فتذكر  
الليل هامة :

- لماذا يأتي الليل ؟؟

والليل يأتي كل ليلة .. قره يأتي .. نجومه الساحرات المغريات كأثناء تتدلى  
تأتي ... وزوجة أبيها تنام مرتاحة قرب أبيها الذي لا يعلم بسر الساحرة . أو ربما  
رآها حين كان طفلاً وهو الآن لا يخشاها . عيناها فقط تسهران .. تترقبان ... ثم  
لا يلبث النهار أن يطلع .. فلا تدرى إن كان السهد قد سامرها أم أن إغفاءة  
حنوناً غمرتها دون أن تشعر بها .

وتأتي الساحرة أخيراً ..

السمات تهب باردة رطبة .. تذر بدخول الشتاء .. بعض الندى الخفيف  
يتقاطر ... وثمة ضباب يحجب ضوء القمر . وعرائسه المدللات الطامعات بليلة  
عشق مع الرجل الأنيق .. والصمت يخنو على المكان ضيقاً ثقيلاً يعطى للأذن  
فرصة أكبر لالتقاط همسة النمل تحت الحدار .. وهي تكره الصمت !

عيناها تتحركان كعيني ذبابة . ترصد كل الأنحاء .. هنا فراش أختها ..  
وعن يمينها الفراغ ... وفي زاوية السطح الشرقية « كرسي خشبي » جدلت  
أخشابه الرفيعة بشكل مربعات متساوية طولية ... وعرضية .. به فتحتان من



أعلى .. تنتصب في إحداها غرشة الماء .. وفي الثانية « برمة <sup>(١)</sup> » أكبر .. في طرف الكرسي ربط حمل تدلّى حاملاً كأساً معدنية يشربون بها الماء ... أسفل الكرسي يرتاح سلطان يستقلان الماء النازف من البرمة والغرشة وهو في الصباح ماء للدواجن رغم نقائه وصفائه من التراب الأحمر . في الناحية الأخرى علبة صفيح مبعوجة هي « بيت الراحه » الذي تستعمله هي وأختها إن فاجأتها الحاجة ! وفي الصباح تحمله أختها لتصبه عند « مدعاب » البيت فيختلط بتراب الشارع .

وهناك باب صغير يفصل مكانها في السطح عن مكان والدهما وزوجته . تغلقه المرأة عادة قبل أن تمام . ويفتحه والدها في الصباح الباكر منسلاً إلى الدرج المؤدى إلى حوش البيت .

في تلك الليلة لا يبيت أبوها في البيت . فعنده نوبة حراسة في السوق الكبير ... وزوجة أبيها تلح عليها أن تمام ... لكنها لا تمام .. تذكرها بالساحرة .. فلا تمام ... حتى عندما دخلت المرأة سطحها وأغلقت الباب .. انتهت عيناها إلى أن الباب لم يغلق تماماً مثل كل ليلة .. بل كان موارباً ينعكس ظل شقه الطويل على أرض السطح .

السكون يطبق على المكان . فلا يثير نفساً لشيء وعيناها تنتقلان في اتجاهات السطح .. وتصل إلى الدرج الذي يبدو معتماً إلا إذا تحرك الضباب وانزاح عن وجه القمر .. فيبدو وكأنه مغارة عميقة . من هناك .. ينطلق الصوت : خشخشة أجنحة ولهاثاً متعباً . ثم رأساً يطل !!! يا إلهي .. لقد جاءت الساحرة أخيراً ..

وانكمتت .. صارت قطعة من الأسفنج تبللت ثم أهملت فجفت خمد فيها

(١) برمة الماء : آنية فخارية لتبريد الماء .

كل شيء إلا عينيها المصرتين على رؤية الساحرة !  
 الجسد القادم من مغارة الدرج يرتفع ... يستطيل . ينتصب أخيراً كاملاً ..  
 ثم يمشى بحذر شديد ... لا يؤكد قوة حدثتها عنها زوجة أبيها ...  
 تتأمل أكثر... الرأس كراسها ... الجسد جسد لا يختلف عن جسد  
 والدها .. إلا أنه أكثر شبهاً !! الذراعان فقط مختلفتان ... هما جناحان ! لكن  
 خفيفهما كلما خطت الأقدام خطوة لا يدل على أنها جناحاً طائر ... فهي تعرف  
 خفيف الأجنحة حين يتطاير حمام الجيران ... أو حين يلحق « أبو حقب »<sup>(١)</sup>  
 مطارداً الحمام .

مّم تراها مصنوعة أجنحة هذا الساحر؟؟ تتسع حدة العين .. هي تريد أن  
 تعرف ... أن تتأكد أن الذي تراه حقيقة ... ها هما الجناحان ... مستطيلات  
 من « السعف » تلتصق بعشوائية على الذراعين . الجسد يمشى . يدنو من الباب  
 الموارب الذي يفصل مابين سطحها وسطح أبيها وزوجته ..  
 اليد الطويلة تمتد .. تدفع الباب الموارب ... يدخل بخفة .

- يا إلهي .. الساحر سرى زوجة أبي وحيدة وسيسرقها .  
 لحظة أرادت أن تحس بالفرح . لأن الساحر سيسرق زوجة أبيها .. لكن  
 حناناً غريباً يثار داخل صدرها .. فيقتل الشعور بالفرح ... ويتمنى ألا يصيب  
 المرأة مكروه .. تحرك ساقها بشجاعة ... وقبل أن تغادر الفراش تنصت لأنفاس  
 أختها تتأكد أنها مستغرقة في نوم عميق ... وتنقلت إلى الباب الفاصل ...  
 تنصت !

لا تسمع شيئاً .. لا صوت ينبىء بصرير أسنان تمزق اللحم .. ولا آهة

---

(١) أبو حقب . السر .

توجع .. ولا حركة مقاومة . تدفع الباب بخذر ! وتقع عيناها على أجنحة  
السعف ملقاة على الأرض ..

يدور شيء في رأسها وهي تشاهد الساحر يشارك زوجة أبيها الفراش ...  
طنين هادر .. وسؤال يتجرأ ويلح :

– ترى ! ما هذه اللعبة الليلية التي يمارسها الساحر مع زوجة أبيها ؟

## مسافرة .. على جناح الأحلام

هم يقولون للسفر خمس فوائد .. لكنني هذه المرة ما جئت من أجل فائدة واحدة من فوائده . لقد ترددت كثيراً قبل أن أقرر . وكان هو يلحُّ . وفوائد السفر كثيرة .. لكنها لم تكن على البال ولا على الحاطر . هدف واحد محدّد سأحمل نفسي معه .. وأسافر إلى ذلك البلد البعيد الذى كرهته . وكأنه اليوم بناديني .. كأنه يفتح فيه الأخضر ليستفطى داخله . وكأننى جنين بعصى على الأم أن تخرجه بطلقة أو طلقين حاميتين .

وأنا .. أتردد .. ثم أوافق .. ثم أتردد . وللسفر خمس فوائد .. لكنها أبداً ليست على البال ولا على الحاطر .. سفرى معه فقط . من أجل أن أراها . أن أطمئن .. أن أثق بأن الرجل لا يكذب على وأنه لم يتصرف بغرته ذات مرة بشكل يسيء إلى . أو إليه .. أو إلى علاقتنا معاً .. ألا يكون قد خان .. فالخيانة سكين حاد كفيل بقطع الخيط المتين الذى يربط حبيبين .. وأنا حبيبته . منذ تقدم لخطبتي وحتى هذا اليوم . وبعد مرور سنتين على هذه الخطبة . ونحن لا نزال نعيش حرارة الدقة الأولى . وهو يؤكد لى أنه عرف الكثيرات قبلى .. عابرات سبيل . إما للرفقة اللطيفة البريئة الخالية من كل سقوط أو إذلال أو لمجرد التسلية وتمضية الوقت الذى يطول فى أوقات السفر .. وهذه فائدة أخرى تضاف للفوائد الخمس .. الفراغ بالنسبة للرجل هو ذلك الدافع الذى يغريه

للبحث عن رفيقة .. عصفورة تطير به بين شوارع بلدها وتكون له ممثابة الدليل الذى قد لا يحظى به لو كان ضمن سياحة مجموعة كاملة .. فالمجموعات تعكر الصمو بصخبها أو بمقاطعة الدليل من قبل هذا الذى يهرج .. أو تلك التى تستعجل من أجل الذهاب إلى السوق لشراء الهدايا والتحف .. والتعرف على المصنوعات الوطنية التى تحمل كل منها طابع البلد الذى تحمل فيه . وهو ... رار هذا البلد .. أكثر من مرة . وكثيراً ما تحدث عن عابرات السبيل فيه .. إما هى .. هل معقول أن تكون عابرة سبيل وهو منذ خطبتي يرأسلها . وترأسله ؟ يأتى برسائلها يفتحها أمامى .. ليؤكد أن لاشىء يربطه بها سوى صداقة بريئة . وإعجاب لا أدرى أيهما أكثر .. من طرفها .. أو من طرفه .

لعبت الغيرة بصدرى .. لعب الشك .. وتعاون اللاعبان على حبال الثصبر .. والثقة .. بهلوانان لا يهدآن .. مثيران حيناً لحد الانفجار .. ومتأنيان حيناً يعطياتنى فرصة للتفكير .. والتدبير .

وهو .. يؤكد .. والسفر له فوائد خمس . لكننى هذه المرة حين ألح أن أرافقه لأتعرف على تلك الصديقة . لم تكن إحدى الفوائد الخمس على البال ... ولا على الخاطر .. الهاجس فقط أن أتعرف عليها . أرصد حركاتها .. وحركاته .. نظراتها .. ونظراته .. لفتاتها .. ولفتاته .. فكم من إشارة أنبات وكمن من نظرة كشفت .. وكمن من لفتة دلت على طريق الحقيقة .. وأنا قد وافقت أخيراً . رغم أن الأمر بينى وبينه لا يتعدى الخطوبة التى امتدت ستين . كل أيامها ملتبهية .. وسويعاتها ممتعة . وسهراتها رائعة مليئة بالحبور .. ولم أكن أضيق أبداً بطول المدة .. لقد اقتنعنا معاً أن نبقى المدة طويلة ليتعرف كل منا على صاحبه معرفة حقيقية . وليسبركلانا أغوار الآخر .. يتلمس أرضه .. يضمن له

مساحة غنية . وحياة بعد ذلك في الأرض هنية ورضية .

و.. سستان .. ونحن حبيبان .. سعيدان .. لا يعكر صفو العلاقة سوى الريد الذى يحمل على جناحيه رسالة مطوية .. أو يأتي برسالة . وهى .. الا تستحى ؟ ألا تفهم بأنه رجل مرتبط بواحدة مثلى ؟ يحدثها دائماً عنى .. وعن حبه الكبيرلى ... وعن اقتناعه بى .. وعن مثاليتى التى تصل فى بعض الأحيان حد التعقيد . والتضييق . أيضاً .. هو حدثها برسالة رأيته بأمر عنيى .. عن قناعته التامة باختبارى دون كل فتيات العائلة الكريمة .. والجيران الأفاضل وكل بنات البلد . وحتى عابرات السبيل اللواتى صادفهن فى كل سفراته .. وللسفر فوائد خمس أو ست أو أكثر .. ولكن هذه المرة أنا لا أبحث عن فوائد .. أنا فقط أريد أن أرتاح .. أن أرى الصديقة التى ينقصها خاطبى .. وحببى دون النساء .. بالاهتمام .

هى ليست بالنسبة له عابرة سبيل .. بل أثيرة إلى روحه .. والاثيرة لا تنبت هكذا ابنة يوم وليلة .. الرجل مهما كان عابثاً غير قادر على إقامة علاقة ودودة بشكل سريع .. الأمر يحتاج لمدة زمنية .. عملية الإقناع . والاقتناع صعبة .. خاصة فى أيامنا هذه التى يفتقر فيها الإنسان لأشياء كثيرة كانت فى الأيام السالفة صفات حلوة تلازمه ، الأوضاع تغيرت اليوم .. العالم تسيطر عليه ماديّات تثقله حتى أنها أثقلت الإنسان بما يحمل فحاول التخلص حتى من إنسانيته . ينذر أن نجد الصديق عند الضيق .. وينذر أن تجد الأخ فى محنة .. فكيف وجد هو بين هذا الرتل من الناس صديقة فى وقت تبرات حتى الصداقة من معانيها ؟؟

هل أصدق ؟؟

هو يحببى .. والثقة التى ولدها لدى وهو يحمل رسائلها .. أو رسائله أخرى

..ها أن تجعلنى فتاة سعيدة .. تنام وتصحو ولا يشغل فكرها أو يؤرق سعادتها  
شئ ..

لكن البهلوانين لا يهدآن .. وهو يؤكد أن لا سبيل لدحر هذين الشيطانين إلا  
بالسفر .. وللسفر فوائد .. ست أو سبع .. لكننى هذه المرة لا أطمع فى فائدة ..  
ولا بمتعة .. كل ما يهمنى أن أتعرف على هذه الصديقة التى اختار حببى أن تظل  
صديقة حتى وهو يربط اسمه باسمى .. ومستقبله بمستقبلى .. بل وحياته الغالية  
بحيائى التى ما فكرت أن تكون لأحد سواه .. وعليه . فلا بد من الموافقة بعد  
كل المحاولات التى يحاولها .

وأنا .. مترددة .. خائفة .. رغم غيظى وشكى . فإنّ هذه النار أرحم ..  
فقد تكون بانتظارى نار واقع تحرقنى .. قد أكتشف أن العلاقة غير ماهو واضح  
لى .. وقد .. والشك فى هذه الحالة بعيداً عن الواقع أرحم .. أن نخس بالنار  
خير من أن ندخلها .. أن نتصور حريقها خير من أن نلقى بأنفسنا إليها مدعين  
الشجاعة واللبالة .. فالنار حارقة .. وأنا جربت لمسها الفظيع .. لا تزال آثار  
الحروق واضحة تشوه بعض مناطق جسدى .. تجعلنى ألعن فاعلها كلما تمسستها .  
وحين أخبرت خاطبى ذات يوم عن أصلها .. وفصلها .. ومصدرها .. حزن  
لأجلى .. ومسح على الحرق القديم بخنان ورقة وكأنه يخشى أن يصحو الألم ثانية  
أو تلسع يده ذكرى حرارته التى ماتت .. يومها وعدنى بإخلاص شع مع عينيه  
الرائعتين . بأن يعوضنى عن كل ما عانيت .. وأن تمسح يده على جراحي وألا  
يسبب لى جراحات جديدة .

وهذه الغيرة ! وهذا الشك ! أليسا جراحات تلسع راحتى وتقلق أمنى ..  
وتعكر صفو المستقبل الذى أحلم وأحلم به كأحلام نبتة صغيرة بيوم ثمرها  
الوفير ؟؟

هذا التردد كله .. كان خوفاً من مجهول .. خوفاً من أن تكون هناك حقيقة ما أفقد من أجملها الحبيب الذى أنام كل ليلة على سرير قلبه وأتوسد عروقه .. وأستمع إلى عزف نبضه يردد اسمي ويعلن وعده الراسخ بأن أكون وحدى ملكة فيه .

كان لا بد من الموافقة .. أن أخطو نحو الحقيقة المجهولة فلما أن أدركها وتهدأ نار قلبي .. أو تطفئ فينطفئ حبه في قلبي إلى الأبد . لا بد أن أشعل الحقيقة الخامدة .. أو تشعلني أو نشعل معاً .. نحترق معاً .. وينتهي كل شيء .  
أكدت له موافقتي .. ولحت في وجهه تعبيراً راضياً . هل كان انتصاراً ؟ أم قرحاً ؟ أم راحة ؟ .. لم أحاول تصنيف هذا التعبير ، الأمور لا تصنف الآن . هذا الوجه الذى أراه كل يوم .. سأراه هناك كل لحظة ، وثانية .. سأتابع كل رفقة عين . وكل حركة شفة ، وكل .. وكل .. وكل .. آه كم ستضيع من عمري لحظات ألاحق بها وجهه .. أو وجهها .. كم سأحرم نفسي متعة النظر إلى السهل ، والبحر والشجر ، والعصافير ، والزهور .. ووجوه الناس التى لا أعرفها ، والتى قد تمتعني ، وتهرنى ، فأستشف منها شيئاً ، والأرض التى تمتلئ بتذكارات الخطى ، وأوراق المارة ، وبقايا متاعب النهار . ودمعات بعض الأطفال الذين تعثرت أقدامهم فى طرف الرصيف .

ويقولون للسفر فوائد .. ومتعة .. وأية متعة تلك التى سأحسها وأنا أجند نفسي « رجل مباحث » يتابع كل همزة ولمزة ؟  
ما أصعب أن يتسرب الشك إلى القلب .. والفكر كم هو معذب لا يعرف الرحمة ولن يطفى نار عذابى إلا السفر .. وللسفر فوائد ست . أوسع .. لكنها ليست على بالى ، ولا على خاطرى ، من أجل فائدة واحدة لا تمت لفوائد السفر بصلة .. سأسافر .



كانت العيوم غلالات تتساق فوق قرص الشمس المندثر تحت كآبة المساء  
 كأنه في لحظة عشق ترغى لها عيناه خجلاً .. والأرض قبر يمتد تحتي يلتهم في  
 داخله الجبال .. والوديان والمساكن التي تعشش فيها رطوبة النهار . ودخل  
 المساكن أناس متنوع ألوانهم .. وأشكالهم .. وجسياتهم . وأعمارهم . وتنوع  
 أحلامهم . وأمانهم . متنوع مآسيهم وأحزانهم .  
 عالم أراه من الأعلى بعيداً .. بعيداً .. صغيراً .. صغيراً .. حين تهبط الطائرة  
 سيكبر هذا العالم . يمتد .. وتتلقى طرفاته . وتستق أرضه عن ألف سر وسر .  
 وأنا ....

سر واحد أريد أن تنتشق عنه أرض الشك التي تأكل داخلي .. وتجرح  
 جرش الحصى تحت عجلات المركبات .. فتى يسقط القناع عن وجه الحقيقة ؟  
 ارتجفت .. حين دب خاطر في ذهني .. ماذا لو سقطت الطائرة ؟ حادثة  
 يهتز لها العالم .. وتهز أهل الضحايا .. وتمتلئ صفحات الجرائد بالتحليلات  
 والتخمينات .. وينبرى أصحاب شركة الطيران يؤكدون سلامة أجهزة  
 الطائرة . ثم يمضي الحادث يموت من يموت .. وتنساه القلوب .. تنسى حتى أنه  
 لم يجد له قبراً يحتوي جسده على هذه الأرض الواسعة .  
 صعب أن يتعلق الإنسان ما بين الشك والحقيقة ! ومرعب أن يتعلق ما بين  
 السماء والأرض . ولحظة الرعب جسورة تدق أبواب الذاكرة .. توقظ فيها  
 ألف احتمال .. واحتمال .

ماذا مثلاً - لو كان حبيبي شجاعاً في لحظة وقوع الطائرة . واستل حزام  
 البجاة . وهبط بسلام إلى الأرض دون أن يفكر بي ؟ الروح غالية وعند لحظة  
 الخطر لا يفكر الإنسان إلا بنفسه . ولو كنت مثلاً مكانه وملكت الشجاعة -  
 التي أفقدها منذ طفولتي - وحركت جسدي الذي بالتأكيد ستشله اللحظة

وسحبت حزام النجاة وفكرت بالهبوط . فإننى بالتأكيد لن أفكر بحبيبي . بل سأنفذ بجلدى . وروحى . من تهلكة لا محال منها . وحين أنجو .. سأبكي .. سأبكي .. حتى تتفرح عيناى . وسأحمل تأنيب الضمير معى حتى لحظات عمرى الأخيرة . رغم أنه لا مبرر لتأنيب الضمير . فلحظة الموت تفرض الأنانية .

أما هو .. حبيبي .. فإن صدقَ وأنقذ نفسه . وهوى إلى الأرض ، كطائر شارد . فإذا سيفعل ؟؟ هل سيفكر بى ؟ هل سيؤنبه ضميره ؟ أو سيحمل نفسه إلى طائرة أخرى ويكمل سفره - ذا الفوائد السبع أو الثمانى - إلى بلد صديقتة ويزف لها بشرى نجاته بأعجوبة بينما يحمل لها خبر موتى المؤسف ؟؟

وهى ؟ هل ستفرح ؟! هل ستغزوها الأمنيات الكبيرة أن تحتل مكانى فى قلبه ؟ وفى حياته كلها التى شاءت الصدف أن تبقى .. وأموت أنا ؟؟ آه من هذا الشك اللاذع المعبث الذى حرمنى متعة النعاس .. بينما جفنا حبيبي ينطبقان بأمان . وسلام ، وهو يسند رأسه إلى ظهر المقعد المريح . حاورنى شوق .. فهل أحاوره ؟ هل أطلب منه أن يعلمنى الحقيقة الثابتة حتى أواجه الصديقة وأنا على ثقة تامة من أنى لست مخدوعة ! أو ساذجة يحملنى حبيبي إلى واحدة أخرى جمعته وإياها صعبة طويلة ؟

هل ستكون بانتظارنا فى المطار ؟ وكيف ؟؟ هذا يعنى أنه أبرق لها .. كلمها بالهاتف .. دون أن يخبرنى بذلك .. وإن لم تكن بانتظارنا فهل سيتصل بها لحظة الوصول ؟ أم سيخصص الليلة الأولى لنا .. نسهر معاً .. و . قد تتفجر أشواقنا فى لحظة فيقرر أن يتم زواجنا هناك فى الليلة نفسها ؟

ألثقت إليه .. يغط فى نوم عميق عذب .. وجهه وجه هادئ برىء من كل تفكير . أو هواجس . حتى شارباه هادئان كسيفين لم يمارسا القتل أبداً . مددت

كفى الملية بالخواتم .. كم اعترض على هذا الأسر الذى يحرمه متعة العبت  
بأناملى .. وكم رجائى أن أحررها من ثقل لا مبرر له .. لكننى كنت فى كل مرة  
أصر على أن تظل خواتمى فى مكانها وقد أصبحت جزءاً من يدى .  
- هذه دبلة الخطوبة التى تحمل اسمى .

- طيب .. لنقل إنها موضوعة ضرورية .  
- وهذا خاتم أهده لى أبى يوم حصلت على الشهادة الثانوية وأنا أعتز به .  
- لا مبرر للاعتزاز ما دمت قد حصلت بعد ذلك على شهادة جامعية .  
- وهذا خاتم كان فى بنصر أُمى .. أهده لها جدتى التى ورثته بدورها عن  
أُمها .. التى ورثته عن جدة أُمى التى ... وهى تحلفنى أن ...  
- فهمت . فهمت .. أن يظل بإصبعك بركة .. قد يبقى حتى سابع أو ثامن  
حفيدة !

- أما هذا ...  
- أعرف حكايته فهو تذكار من معلمة الحساب التى كنت نخبينها ونحبك .. وقد  
قدمته لك فى عيد ميلاد من أعيادك السنوية .. عجيبة رغم تقديرى لعقلك  
وفهمك إلا أنك لا تزالين كالطفلة تتعلقين بالتذكارات القديمة .  
- وهذا ...

- حفظت ! هذا خاتم ماسى تخشين عليه من الضياع .. لكننى أذكرك بأنه توجد  
خزائن وأدراج لها مفاتيح .. صنعت خصيصاً لحفظ الأشياء الثمينة ..  
ولكنى ...

- ولكنك تغار من خواتمى هذه ..  
- تسمينها غيره .. ولكنها فى الحقيقة رفض لامتداد عصر الحريم .

\* \* \*

وامتد كفى يحمل آسريه .. مسحت على كفه برقة ، ارتعش ، وانفتحت  
عيابه انفتاحة وردة شهية تسأل عما أريد ، وفي اللحظة نفسها تسألان عن  
الزمن .. كم مضى ؟ وكم بقى !

قلت :

- هل ستكون صديقتك فى المطار ؟  
ابتسم ابتسامة كبيرة وكأنه يحذرنى أنه يفهمنى :  
- لا ..

- هل ستتصل بها بمجرد وصولنا إلى الفندق ؟  
قال بصدق أليف إلى روى :  
- كما تتسائلين .

- لا .. كما تشاء أنت .

قلت هذا وفى نيتى أن أستشف مدى اهتمامه بها ولهفته على رؤيتها ولأؤكد له  
أننى لا أحمل لها أى نوع من أنواع العداء . ولكنى فى داخلى كنت أخشى  
الصدمة إن جاء رده محققاً لهذا الخوف الذى يعاركنى . لكنه - وكأنه قصد  
هذا - أكد لى أن الليلة هذه ستكون لنا نحن الاثنين فقط . والصباح يوم آخر  
ولا مانع من أن تشاركنا فيه الصديقة .

جاءت كلماته دفقة باردة تذيب حرارة الهاجس اللعين ، وفى تلك اللحظة  
فقط شعرت بأن عيني القلقتين قد ذابتا .. واشتهتا يوماً دافئاً يختصر المسافة ما بين  
السماء والأرض .

\* \* \*

فى بهو الفندق !  
وحدى أنتظر ..

تعمدت أن أكون بكامل زينتي . قبل أن أمر على غرفته . وأطرق بابها .  
حين فتح كان وجهه مغطى بالرغوة . وماكينة الخلاقة بين أصابعه تستعد  
لابتلاع شعر ذقنه الذى نبت مسافة السفر الطويل .

رحب بي .. بينما كنت غير مرحة بهذا الاستعداد الذى أثار لدى غير  
طفحت حتى وجهي . لماذا يخلق ذقنه ؟! هل يرغب فى أن تراه نظيفاً ، ناعماً  
أنيقاً ؟ وماذا يهمه فى ذلك ؟ أو... ماذا يهمها هى بالذات ؟؟

ترك الماكينة على طرف المغسلة .. واقترب من وجهي .. حضنه بين كفيه  
الرطبتين .. وتصورت كم يكون جميلاً لو كانت له ذقن بيضاء .  
اقترب من وجهي ليقبله .. لكنني أبعدته :

- حاذر .. ستلطخ وجهي بالرغوة :

تنه .. وضحك ، وسارع يسحب المنشفة . كنا لا نزال عد مدخل الباب  
الذى أعلقه بعد دخولي . نقف أمام باب الحمام ، مسح الرغوة بعنف . وورغم  
فرحي بما فعل إلا أنني ذكرته :

- وذقنك ؟؟

بكل بساطة أجاب :

- لن أحلقها .. ليس الأمر مهماً ..

- إذن ! لماذا بدأت ؟؟

- وجدت نفسي وحدي .. قلت أتسلى بذقني .. هل من العيب أن أتسلى

بذقني ؟؟

- لا ..

واقتربت منه :

- هل أنا جميلة ؟؟

وكنـت أعرف أننى عادية الجمال ..  
- أنت فقط .. حبيبى .

ولمـ انهار شـهى فى وجهه كانهار النقطة الآتية من السماء .. وانـشقت فى شفتيه أشواق كانشقاق الوردـة حين تصرخ فيها نشوة البلوغ .. وانـبلج صبح من عينيه ، فرأيت أمامى مهرجان الوان يطل .. حاملاً فرحه ، وزغاريدـه والتقت اليد باليد .. والحت فى رأسى أنشودة موسيقاها سؤال يتردد .. متى يلتصق الخـد بالخـد وحين أقـترب أحسسته جـمراً ملتهباً .. ضمنى إليه كـقطة أليفة .. فـذبـجنى سـعير شوق ، وتفتحت أبواب حلم رـحب .. وأنا .. أعـطى بين يديه ، وقد تكومت كل روحى فى نقطة واحدة يهرسها بين شفتيه .

\* \* \*

وحدى ..

أجلس فى بهو الفندق .. أنتظرها .. أنا التى أصـررت على أن تعرف بوصولنا .. منذ اللحظة الأولى .. فهذه الليلة لن تكون هادئة إن لم أرها . لن يكون بمقدورى أن أعيشها لحظة بلحظة .. كيف لى أن أفـرح ؟ وأقـطع الشوارع المبللة بعرق البشر ؟ وأن أسهر فى نادٍ خافت الأضواء مثير للتقارب .. والعناق .. بينما ذهنى مشغول .. مشغول ... مشغول .. ستأتى الآن ! سأراها وأطمئن .. ربما تعتمد أن القاهـا قبله .. قلت له :

- أنا لا أعرفها .. فكيف سأتعرف على وجهها بين عشرات الوجوه ؟  
أكد لى وهو يبعد خـصلة شعر التـصقـت بخـدى :  
- أنا متأكد أنك ستعرفينها .

ما سر اقتناعاته هذه ؟ هل يعرفنى ذكية لهذا الحد ؟ أم أنه واثق من أننى أعرف اختياراته ؟ أم أنها هى باهرة إلى الحد الذى سيلفت نظرى ويجعلنى أغادر

مقعدى لاهثة إليها . أعرفها بنفسى فتعرفنى؟؟  
هذا الرجل يحيرنى بقدر ما أحبه ، وهذا الموقف الذى وضعنى فيه موقف  
حرج لا أحسد عليه . لكنه ما دفعنى إليه إلا ليربحنى .. ليعطينى فرصة اكتشاف  
أنا بحاجة لها .. وحدى وليس معه .

ما زلت أحمل رعشة الذوبان الذى سبحت فيه قبل أن أهبط الطوابق  
السة . وأنتظر فى هذا البهو الرخامى الملىء بالبشر .. وجوه .. وجوه ..  
وجوه .. وأجساد ... كلها وجوه تعيش .. تأكل .. تنام .. تعشق ..  
وتضاجع .. وتنجب .. لتزدحم هذه الكرة الأرضية ببشر يتشرد بعضهم ..  
ويموت بعضهم .. ويتقاتل البعض مع البعض .. ويأكل البعض بعضه  
الآخر .. ويكثر المتسولون ، والجبايع .. وتتخم فقة على حساب أخرى ..  
وتطمئن فقة على حساب قلق الفئة الأخرى .. وتنمو حياة على قبور ساكنة . عالم  
متحرك .. لا يدع الفرصة لقدم أن تمتد أكثر من خطواتها .. وزحام عند مكتب  
الاستعلامات وعند شبك المكتبة المزوية فى ركن .. وفى البار الذى يفرغ معسوله  
فى أجواف الظمأى .. وعند المصعد الذى لا يأتى إلا إذا نفذ الصبر بالكثيرين  
وتذكروا أن هناك درجات سلم مثوية العدد . فيفضلون لهاث السلم على وقفة  
انتظار .. عالم يستعجل اللحظة .. يريد أن يعيش حياته دقيقة دقيقة ..  
عمقها .. طولها .. عرضها ..  
وأنا ...

على المقعد العريض .. أتابع الوجوه النسائية التى تدلف .  
هذه واحدة .. ربما تكون هى .. إنها تتلفت .. بلا شك هى تبحث عن  
وجهه .. عن صديقها الذى ترأسله وهو مرتبط بى .. وبحبى .. واختارنى من  
بين عشرات البنات .

طويلة .. فارعة .. نخيلة الساقين .. عنقها طويل يمتد كعنق هدهد .. ومن شحمتي أذنيها يتدل قرط على شكل ثعبان .

لا .. ليست هي ..

لماذا أكلت لنفسى هذا ؟؟ وكيف عرفت أنها ليست هي حتى قبل أن تلتقي  
برجل ملتصق وتشابك يداهما ؟

حبيبي لا يفضل النحيلات .. أنا .. وهو في حوار دائم حول عملية الخمية  
التي أتبعها . فهو يحب الاكتناز .. خاصة في الساقين .. وهذه ذات ساقين  
نحيلتين !

هل حقا بحث في الصديقة عن ساقين جميلتين ؟؟  
لا ..

هو لا يفكر بهذا الشكل التافه .. حين اختارني لم يقس مسافاتي .. كان  
اللقاء أعلى من كل مساحة الجسد .. حبيبي يعرف كيف يختار . ربما هذه !!  
دخلت تقسم شعرها قسمين . يتفش كل قسم إلى ناحية كأنه في حالة  
غضب من رفيقه . وقد ذكرني وجهها بوجوه الساحرات المرسومات في كتب  
القصص المدرسية .. قصيرة .. ملابسها تصرخ مستغيثة من لحم تكوم في الأمام  
وفي الخلف .. وقد ضيق عليها سبل الحركة .. فبدأ بروفيل جسدها وكأنه علامة  
سؤال ذات زائدة . دارت في الهو .. مرة .. مرتين .. عيناها تتقلان من وجه  
لوجه .. حتى عندما اصطدمتا بوجهي .. تحركتا بلا مبالاة إلى الناحية الأخرى .  
ليست هي .. بالتأكيد .. ليست هي .. لو كانت هي لعرفتني .. لا شك أنها  
ستكون ذكية .. وإلا لما صادفها ، فحبيبي يكره النساء الغيبات . لو كانت هي  
لفهمت أنني فتاة أجلس وحدي ويبدو على قلبي الانتظار .



وابتعدت .. وهى تعانق ذراع امرأة تكبرها بكثير ويتكوم شعرها فى الخلف على شكل كعكة مصبوعة بالزيت !

نقلت بصرى إلى مكتب الاستعلامات .. وقد تأتى وتقف هناك .. فتتصل بهاتف غرفتى .. أو .. غرفته . وسيرة عليها .. ثم يهرول إلى البهو .. سيرها قبلى .. وتضعى على فرصة التقاط الشارة الأولى عن أول لقاء .

ما الذى جعلى أضع نفسى فى هذا الموضع البائس ؟ احس أن القلق قد أكل نصف حيوتى .. وقد جئت فارة من ضغط العمل .. وضغط الشك والغيرة . وللسفر فوائد . تسع أو عشر .. وأنا على العموم ما جئت إلا من أجل فائدة محدّدة .. اريد أن أعرف .. أأناك .. أن أدخل جنة الزواج وأنا مؤمنة كل الإيمان بأن الحبة ما وجدت إلا من أجل كل اثنين يسلكان الطريق السليم حين يقمان علاقة ودودة .. ويمتزجان بحب أساسه الإيثار .. وربّانه العقل .

وعقلى شارد ! .. متى تأتى ؟؟ تأخرت خمس دقائق .. رصدت خلالها أكثر من خمسين وجهاً .. لم أستطع أن أثبت واحداً منها فى ذهنى ، فذهنى لا يحمل إلا أوصافها التى أعطاهها لى كما أرادها هو .. لكن الرجل أحياناً لا يكون قادراً على إعطاء الوصف الدقيق .. ذلك أن نظره للمرأة تختلف عن نظرة المرأة لها .. فما قد يلفت نظره ويركز عليه .. يحتمل ألا يثير عند المرأة شيئاً .. فرق كبير بين نظرة الرجل للمرأة .. ونظرة المرأة للمرأة .. تماماً كالفرق ما بين نظرة رجل .. ورجل للمرأة .. هناك رجل يهيم الغلاف الخارجى . الزخرف الذى تثيره ملامح .. وعطر .. ولباس .. بينما آخر يبحث عن البطانة داخل الغلاف .. فجمال المرأة فى نظره يكمن فى عمقها .. فى سرّيتها .. والرجل دائماً يصف المرأة حسبما يتعامل معها .. فالرجل الذى يفضل المرأة «الانترناشال» التى تبيح نفسها من أول لحظة سيختلف بالطبع وصفه عن وصف الرجل الذى

يفضلها صعبة .. وذات كبرياء يعجز كل رجال العالم عن كسر طوقه .  
أما المرأة فهي حين تنظر لامرأة سواها .. إنما يهيمها بالدرجة الأولى أن تتأكد  
إن كانت أجمل منها .. وأكثر منها أناقة .. وتتأمل ذوقها .. ملابسها ..  
عطرها .. تسريحها .. مجوهراتها .

يدى تداعب يدى .. أترع الخواتم واحداً واحداً .. فتسسل بسرعة وكأنها  
تريد أن تحقق لحظاتي أمنية .. أنظر إليها .. و .. أبذل أماكنتها .. لا يرضيني  
التبديل .. فأعيد لها أمانة .. وأحس بها تنزلق إلى مكانها وكأن شوقها قد اعترم  
لجحد أن أنتقل لحظة .. أو .. كلتها ترضيني أنا هذه المرة . وتؤكد لي أنها مخلصه  
ليدى إلى الأبد .. خاتم واحد ظل مكانه لم يتبدل .. اللبلة .. ظلت لاصقة  
بلحم الأصبع التصاق المشيمة بالرحم .

لماذا يضيق بهذه الخواتم ؟ نهى أكثر من مرة . كلما حاول عناق كفى  
اصطدمت أصابعها بها . هل هذا حقاً مثير للضيق ؟  
وأنا أضيق .. أضيق بجلستي .. هبط في المقعد الاسفنجي حتى تصورت أنه  
سي تساوى بالأرض وعيناي كعيني ذبابة تتحركان بسرعة هنا .. و .. هناك .. ها  
هى واحدة .. تحمل بيدها علبة ملفوفة بورق أنيق محلى بشريط أخضر .. ويبدو  
أنها هدية لشخص ما . الفتاة جميلة .. يبدو أنها خفيفة الظل .. ثغرها باسم  
دون عناء .. أو إصرار .. وعيناها واسعتان صبغت جفنها الأعلى بلون أخضر  
كلون الشريط .

تلفت .. هل تكون هى ؟؟ ربما جاءت تحمل لى هدية التعارف الأولى ..  
أنا نفسى أحرص على هذا التقليد حين أقوم بزيارة أولى لعائلة .. أو زميلة ..  
وهذا شىء يعجب خاطبي .. وهو يثنى عليه دائماً . وهذه تحمل هدية .. ربما  
أحب فيها الشىء نفسه . إذن .. لم لا تبحث عني ؟ لم لا تنقل بصرها بين عباد

الله الغاطسين في المقاعد يتشتر فوقهم دخان السيجار والسجائر ويشكل طبقة  
غبراء بلون الرماد .

لن أتحرك ..

لن أتصدق عليها بلهفتي .. ولا يجب أن أسعى إليها .. هي التي يجب أن  
تبحث .. وهي التي يفترض أن تسعى إلى .. يجب أن تعرف منذ الوهلة الأولى  
أنني أنا الأهم في حياة الرجل الذي هو صديقها وعليها أن تكون بشوق للتعرف  
علي .. لا أنا . ولكنني .. ما جئت إلى هذا البلد إلا من أجل أن أعرف  
عليها .. أن أطمئن .. أن .. وأن .. وأن .. فلم أضحك على نفسي .. وأنحرق في  
مقعدي الذاوي تحتي ، وقد بدأ مغص شديد يعبث بأعالي .. ودقات قلبي  
تسرع .. وتسرع .. في نبضاتها .. بانتظار اللحظة الحاسمة .

ينبعث صوت طفل من بين الأصوات .. هكذا هم الأطفال دائماً ..  
رغم صغر سنهم ، إلا أن صرخة واحدة منهم تكفي لإيقاظ جيش نسي واجبه  
الوطني .. ونام على الحدود .. جاء صوته عالياً هاتفاً كراية تعلن كبرياءها لحظة  
التحية .. أو النصر .. ركض نحو المرأة التي تحمل الهدية ! فتحت ذراعيها ..  
وحضنته بلهفة تهردت على كل ما تحمله .. حقيبتها والهدية .. فتساقطت ..  
وبادر أولاد الحلال من الرجال ... كل يحاول أن يثبت أدبه .. وذوقه ليرفع  
الأشياء .. فقد ينال بسمه رضا .. تكفيه لأن يفاخر بها أمام الغير .

إذن ! ليست هي .. وتبع عناق الطفل عناق سيدة ترتدى ملابس سوداء  
وقد انفجرت ببيكاء مفاجيء وهي تعانق المرأة الزائرة . ثم تشد على يد الصبي  
الذي حمل الهدية .. وتوجهوا إلى باب الخروج .

وأنا .. متى أخرج من هذا الموقف . بدأت أضيق ! ووجودي في هذا المقعد  
السليب لا مبرر له . خلعت نفسي منه بصعوبة .. توجهت لمكتب

الاستعلامات ، ورفعت الهاتف .. طلبت رقم غرفة خاطبي .. أعلنت له رفضي لهذا الانتظار فأكد أنه سيتزل حالاً .

حين استدرت بعد أن علقت الساعة على صدر أمها الجهاز . تصافح وجهي بوجه أليف .. أعرفه ، أعرفه جيداً .. وتلاقت بسمتان .. وتزاوجت فرحتان .. وتهللت نجمتان ، وشعت نجمتان . لامعتان .. هفت وسبابتى تشير إليها :

- أنت ...

وكانت تسبقني بالسؤال ذاته :

- أنت ....

وتعانقنا .. لا أدرى كيف ؟ ولماذا !

كان لها وجه صياني .. فك بارز صغير . وعيناها بريتان كعيني طفل لم يؤذ عصفوراً .. ولم يخربش على جدران بيتهم الجديد ..

حين تباعدنا استعرضتها في ثانية ...

عادية الطول .. ممثلة بعض الشيء .. ولكن في تناسق يدل على أنها تمارس رياضة ما ! ترتدى بلوزة رمادية مخططة بخيوط حمراء رفيعة .. وتنورة حمراء لها فتحة صغيرة في جانبها الأيمن .. ومن صدرها تتدلى سلسلة ذهبية رفيعة كهمسمة خجولة .

لم أحاول أن أسألها كيف عرفتني ؟ لأنني أنا أيضاً عرفتها .. نفس أوصافها التي تركزت في ذهني .. ولابد أن أوصافي كذلك صحيحة .. وواضحة . قبل أن نجلس كان خاطبي يصل إلينا .. وأحسست بمزيج من السعادة والهدوء .. وجلسنا ثلاثتنا . لقاء .. كأنه لم يكن الأول .. وتآلف يصعب على من يراه أن يصدق بأنه ابن لحظته .. كأن السنين قد ربطت بيننا ... وأن خلية

من الأحداث قد مرت في تلك السوات البعيدة فحققت هذه الألفة .  
لا أدري كيف مشينا ! وكيف جلسنا على المقاعد الذائبة .. لكنني عجبت  
من نفسي .. لماذا لم أنظر لوجه حبيبي ووجهها وهما يتصافحان ؟ ألم أكن قد  
قررت أن أكون رجل مباحث وأرصد الحركة . واللمسة ؟ هل انتهى الشك  
وذابت الغيرة بمجرد أن رأيتها ؟ ولماذا عانيت كل ما عانيت وأنا على يقين من أنه  
يجبني .. وأنتي شمعة مضيئة في عيني .. ووردة لا تظالها سن اليأس . أتربع  
عروساً في قلبه .

ويقولون للسفر فوائد .. عشر أو عشرون . وأنا لا تهمني هذه الفوائد ..  
فقد جثت من أجل شيء محدد ... من أجل حقيقة أكتشفها . وها هي الآن  
أمامي .. أراها .. وألمسهالمس اليد . صديقة حبيبي .. وقد أصبحت منذ الوهلة  
الأولى صديقتي ...

ها هو الشك يتبدد .. وها هي السحابة السوداء تنزع نفسها من بيت  
أفكاري .. وتترك المكان صافياً .. عذباً كيوم ربيعي ..  
لماذا عذبت نفسي كل تلك المدة .. رغم حبي له . وثقتي الصادقة بجمه لي ؟  
ولماذا تصورت أنه لا يمكن أن تمتد جسور صداقة بين رجل وامرأة إلا وأن يكون  
للشيطان دوره في بناء جسر من جسورها !

هذه الصديقة التي اتارت الاطمئنان في نفسي منذ الوهلة الأولى .. هل  
أكره أن تنال حقاً إنسانياً ؟ أن يكون لها أصدقاء حتى وإن كان حبيبي واحداً  
منهم ؟؟

يرقَ سرور عجيب في داخلي .. عابثي وأثار النشاط في كل كياني ..  
فأحسست لحظتها فقط بقيمة السفر .. وفوائده الألف التي أضيفت لها اليوم  
فائدة اكتشاف جديدة .

وعلى شفقي المبهجتين التمت الدعوة التي وجهتها :  
- ألن نخرج ؟ الجو رائع .. وجميل ..  
وفي داخلي كنت أؤكد بأن الحياة كلها أجمل .. وأن الراحة سيبلنا لتذوق  
هذا الجمال ..  
وقفنا ..  
كان خاطبي في الوسط .. فتح كفيه .. وبسهولة كان كفه يرتاح في كف  
الصديقة الذي لم يكن يحمل سوى بصماته ، بينما لم تكن الطريق سهلة إلى كفى  
الملء بالخواتم ..  
سحبت كفى . اندهش .. لكنه عاد وابتسم ابتسامة رفرفت أجنحتها بفرح  
وهو يراني أترع الخواتم واحداً .. بعد الآخر . ولم أبق سوى الدبلة التي لن تترك  
مكانها إلى الأبد ..  
وكانت نظرة من عينيه الخائيتين تؤكد لي ذلك .

## فهرس

٥	نظرة لها أصابع
١٣	بعض الأشياء لا تنتظر
١٨	الحب له صور
٣٥	حاجز النار
٤١	الجدران ... تمزق
٤٧	الردوس إلى أسفل
٥٧	لا خبر... لا ...
٦٢	الملص
٧٢	حين تيكى المدن
٨٠	الاشاعة
٨٩	الطاسة
٩٨	لعبة في الليل
١٠٦	مسافرة .. على جناح الأحلام











